وزارة التـــــعليم العـــــالي و البـــــحث العـــلمي
جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية –
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

النسق و دوره في اللسانيات العامة
مدونة دي سوسير أنموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

من إعداد الطالبتين:

- ساحلي كهينة.
- زكريني ليندة.

إشراف الأستاذ:

بوسالمي عطاء الله

السنة الجامعية: 2015 - 2016

"بسم الله الرحمن الرحيم"

قال الله تعالى: " يرفع الله الذين أمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات."

المجادلة (الآية: 11)

قال عز وجل:" إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم و إن يقولوا تسمع لقولهم".

المنافقون (الآية: 4)

إهـــــداء

الحمد لله و الصلاة و السلام على أفضل خلق الله نبينا وحبيبنا محمد "ص" الذي حثنا على طلب العلم و جعله فريضة على كل مسلم و مسلمة. أما بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والداي اللذان ترعرعنا بين أحضانهما، داعية من الله عز و جل أن يحفظهما و يديم عليهما الصحة و العافية.

إلى أخي الوحيد عمر الذي هو بمثابة الصديق و الأخ الذي أعتبره سندي في هذه الحياة، داعية من الله عز و جل أن يحفظه لي دوما.

إلى عمتي الوحيدة فريدة التي هي بمثابة أختي، و التي طالما دعمتني، داعية من المولى أن يستمر عطاؤها في مهنة التدريس التي تمارسها، وإلى ابنها لوناس المقبل على اجتياز امتحان شهادة البكالوريا ، و الذي أتمنى له حظا موفقا و ابنها عبد الحق الحائز على شهادة نهاية مرحلة التعليم الابتدائي، دون أن أنس الصغير محمد راجية من المولى أن يوفقهما في مشوارهما الدراسي.

إلى أغلى وأعز شخص، إلى سندي في هذه الحياة، إلى قرة عيني خطيبي عادل الذي دعمني في كل الأوقات وساندني من أجل تخطي كل الصعاب وتحقيق النجاح.

إلى كل صديقاتي ليندة، هالة وياسمينة اللواتي قضيت معهن أحلى أيام عمري واللواتي تشاركنا حلو ومر أيام الدراسة، واللواتي تركن بصمة لن تمح من حياتي.

إلى أستاذي المشرف الذي لطالما ساعدنا، وأرشدنا إلى ما هو خير لنا، وحثنا على مواصلة البحث و المواظبة والمثابرة دون سأم، والذي أشرف على انجاز هذا العمل، فدمت ذخرا ومرجعية لنا بحول الله.

و لا أنس أن أشكر كل من ساعدنا، من بعيد أو قريب في انجاز هذا العمل وكل من حثنا على مداومة البحث والمضي قدما في سبيل إنارة شعلة العلم.

كهينـــــــة

إهـــــداء

الحمد لله و الصلاة و السلام على أفضل خلق الله نبينا وحبيبنا وشافعنا محمد "ص " الذي حثنا على طلب العلم و جعله فريضة على كل مسلم و مسلمة. أما بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدتي التي ترعرعنا بين أحضانها و التي تبتسم لفرحتنا و تدمع لحزننا، داعية من الله عز و جل أن يحفظها و يديم عليها الصحة و العافية.

إلى والدي الذي كرس كل حياته لتعليمنا و إكساب قوتنا داعية من الله عز و جل أن يحفظه لنا.

إلى أخي الوحيد بلال الذي هو بمثابة الصديق الذي أعتبره سندي في هذه الحياة، والذي كان دائما يقف معي في الأوقات المفرحة والمحزنة داعية من الله عز و جل أن يحفظه لي دوما و يوفقه في امتحان شهادة البكالوريا.

إلى أختاي اللتان أعتبرهما هبة ونعمة من عند الله بسمة وسهام، اللتان شاركتاني كل هموم هذه الدنيا، واللتان كانتا دوما تفرحان لفرحتي وتحزنان لحزني، متمنية لهما من كل أعماق قلبي التوفيق في حياتهما والنجاح في دراستهما .

إلى كل صديقاتي ليلى، هالة، كهينة وياسمينة اللواتي قضيت معهن أوقاتا لا تنسى ، كيف لا فأجمل أيام العمر هي أيام الدراسة.

إلى أستاذي المشرف الذي لطالما ساعدنا، وأنار سبيلنا بنصائحه وإرشاداته القيمة ، وبث فينا روح البحث و المثابرة من دون ملل ولا تذمر ، والذي أشرف على انجاز هذا العمل، فلندم لنا بحول الله ولتكن دائما مصدر السخاء والعطاء.

إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل، وكل من مد لنا يد العون من بعيد أو قريب، وكل من تمنى لنا الخير والتوفيق ولو بجارحة من جوارحه، إلى كل هؤلاء أسمى آيات الشكر و الامتنان.

لينـــــــدة

كلمــة شكــر

الحمد لله والشكر لله على كل نعم الله، الحمد له الذي خلقنا وجعلنا في أحسن تقويم، وميزنا عن سائر مخلوقاته بنعمة العقل التي وهبنا إياها من أجل أن تخرج البشرية من الظلمات إلى النور، بفضل العلم الذي أوصى به حبيبنا وشافعنا محمد "ص" الذي حث على طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم و مسلمة.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل الذي أنار لنا السبيل وكان لنا دوما دليلا، كيف لا و كلمات الإرشاد والتوجيه التي كنا نسمعها منه لازالت ناقوسا يدق في كياننا.

إلى كل أستاذ. إلى كل هذه الشموع التي تحترق لكي تنير الدرب للآخرين. إلى هذه الأزهار التي تذبل لتجعل غيرها من البراعم تنمو وتتفتح. إلى كل من أفنى عمره من أجل أن ينير بصيرتنا ويطور أسلوب تفكيرنا. إلى كل من أعطى ووهب دون مقابل. أمام كل أستاذ نقف وقفة إجلال واحترام اعترافا بالجميل وحسن الصنيع، فلا أحد يستطيع النكران كيف لا ومجد الأمة لا يكون إلا من خلالهم.

إلى كل من ساعدنا في تخطي الصعوبات والعراقيل من أجل انجاز هذا العمل، وكل من مد لنا يد العون من بعيد أو قريب.

الفهـــــرس

- الفهرس---------- ص (1 – 2)
- الملخص---------- ص (3)
- المقدمة ---------- ص (4 – 5)
- المدخل ---------- ص (6 – 12)
- تعريف النسق لغة واصطلاحا ---------- ص (10)
- خصائص النسق ---------- ص (11 – 12)
- مسار النظرية البنيوية ---------- ص (13)
- أهم عناصر نظرية دي سوسير---------- ص (13- 14)
- النسق في الدرس الغربي الحديث ---------- ص (15)
- أنواع النسق في اللغة العربية ---------- ص (16– 19)
- التوجه الجديد لدي سوسير ---------- ص (20)
- النسق عند دي سوسير ---------- ص (21 – 25)
- ثنائيات دي سوسير ---------- ص (26 – 28)
- النسق عند ليفي شتراوس ---------- ص (29)
- النسق عند لويس يلمسليف---------- ص (30 – 33)
- النسق عند رولان بارث---------- ص (34)
- المقارنة بين النظم في التراث العربي والنسق في الدرس الغربي الحديث -- ص (35)
- خصائص اللسان البشري لدى سوسير---------- ص (36)

- أهم المبادئ التي أثرت في فكر دي سوسير ---------- ص (37)
- تعريف النظم ---------- ص (38 –41)
- مفهوم النظام وتصنيفه في نسق العلوم ---------- ص (42)
- إطلاق النظام اللغوي ---------- ص (43- 44)
- الانتقادات التي وجهت ضد تصور دي سوسير ---------- ص (45)
- الاتساق لغة واصطلاحا ---------- ص (46 – 47)
- أنواع السياقات ---------- ص (47 – 48)
- السياق عند بعض علماء الغرب ---------- ص (49 – 51)
- السياق عند بعض علماء العرب ---------- ص (52 – 54)
- الخاتمة ---------- ص (55)
- الملاحق ---------- ص (56)
- قائمة المصادر و المراجع ---------- ص (57 – 59)

في بحثنا هذا: **"النسق ودوره في اللسانيات العامة"، مدونة "دي سوسير" أنموذجا،** قد افتتحنا المذكرة بالفهرس ثم بملخص صغير عن محتوى الرسالة، وبعد ذلك بالمقدمة والمدخل. وقد قسمنا بحثنا إلى فصلين، الفصل الأول جزأناه إلى مبحثين: المبحث الأول تناولنا فيه مسار النظرية البنيوية اللسانية، أهم عناصر نظرية دي سوسير، وبعدها النسق في الدرس الغربي الحديث وأخيرا أنواع النسق في اللغة العربية. أما المبحث الثاني تناولنا فيه: التوجه الجديد لدى دي سوسير، النسق عند فرديناند دي سوسير، وبعدها قمنا بلمحة دراسية عن النسق عند بعض العلماء منهم: ليفي شتراوس، لويس يلمسليف ورولان بارث، وتناولنا أيضا عنصرا آخرا ألا وهو المقارنة بين النظم في التراث العربي الحديث و النسق في الدرس الغربي الحديث. وقد تطرقنا أيضا إلى عنصر هام في هذا الفصل وهو خصائص اللسان البشري لدى سوسير وأهم المبادئ التي أثرت في فكر دي سوسير.

أما الفصل الثاني فقد تمثل في: تعريف النظم ومفهوم النظام وتصنيفه في نسق العلوم، وإطلاق النظام اللغوي وبعدها أهم عنصر في هذا الفصل وهو الانتقادات التي وجهت ضد تصور دي سوسير، ويليه جزء آخر وهو الاتساق لغة واصطلاحا وأهم السياقات وأخيرا السياق عند بعض العلماء الغرب والعرب منهم، حيث تكتمل الرسالة بالخاتمة والملاحق وأخيرا قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة:

نحمد الله سبحانه وتعالى على كل ما وهبنا من نعم بدءا بنعمة الإسلام العظيمة، التي لا مثيل لها ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى خلفائه الراشدين وأصحابه و على كل من سلك سبيل الرشاد إلى يوم الدين.

أما بعد، فهذا البحث "النسق ودوره في اللسانيات العامة" مدونة "دي سوسير" أنموذجا، تطرقنا فيه إلى مختلف الجوانب ودراستها وبيان مختلف أبعادها.

إذا أردنا أن نعين "دي سوسير" في مسار تطور علم اللغة فإننا لا نعني ذلك من ناحية محضة، ولكن في سياق تطور المنهجية اللغوية و بناء النماذج، إنه يتبع حسب هدفه المرسوم هذا النسق، ويكمن سبب عدم وضوح تأثيراته إلا بعد وقت طويل في أن مؤلفه ظل في البداية غير معروف (في العشرينات كذلك) بل يكمن من جهة أخرى في أنه في مجال الدرس العملي ظل تقليد النحاة الجدد- على الأقل في ألمانيا- سائدا مدة طويلة في القرن العشرين. ومن خلال ذلك أحدثت أفكار "دي سوسير" دهشة و لم تتفجر إلا بعد الحرب العالمية الثانية في سيل جارف، و حين سقطت الحواجز التي أقامها النحاة الجدد، برز التصور اللغوي الجديد فجأة بقوة الذي مهد له "دي سوسير". و لكنه لم يترسب إلا في تلك التيارات اللغوية التي باءت على الأساس الذي أقامه "دي سوسير".

وجد في ألمانيا تحفظ بقدر معين تجاه الأفكار الجديدة لدى سوسير، و يرتكز ذلك من جهة على الإصرار الذي استمر طويلا على إرث النحاة الجدد الذي يعد مفخرة لألمانيا، ومن جهة أخرى على العزل المتزايد للعلم الألماني في أثناء الفاشية، و ذلك في دقة في أثناء الحرب العالمية الثانية. و مما يميز هذا العزل أيضا حقيقة أن مؤلف "دي سوسير" لم يترجم إلى الألمانية تحت عنوان القضايا الأساسية في علم اللغة: « Grundfragen der allgemeinen sprach wissenschaft » إلا سنة 1931 وأنه قبل ذلك قد نقد بعض اللغويين الألمان الكتاب، و أنه بعد ذلك لم يبع منه إلا حوالي 500 نسخة، و لم يلق أساسا اهتماما حقيقيا إلا منذ الخمسينات.

إذا كان العقل أهم ما تميز به الإنسان، فإن اللغة من أهم ما أنتجه عقل البشرية، أين وجد الفرد ضرورة إيجاد وسيلة من خلالها يفكر، يحب، يتواصل، فوجد اللغة هي الوعاء الذي يستطيع أن يحوي هذه الأشياء وعلى هذا الأساس فاللغة كلام البشر سواء أكان منطوقا أو مكتوبا، ففكر الإنسان ونشاطه قائم على أساس اللغة فبقوة هذه الأخيرة يقوى الأول، وبواسطتها نضمن بقاء الإدراك الإنساني، حيث أن غياب عنصر اللغة يؤدي حتما إلى حالة من الجماد، فالإنسان هو عبارة عن آلة كسولة ، فاللغة هي التي تجعله في حالة نشاط و حيوية، و بالتالي تظل اللغة أكثر من أن نقول عليها أنها أعم من الفكر في حد ذاته، وبها يستطيع الفرد تغيير تفكيره أي أنها تحوي الأفكار وتطورها، فإذا كان الواقع يقر بحقيقة أن النهضة لا تتحقق إلا بالتقدم العلمي والثقافي والفكري، فإن من جهة أخرى يثبت أن اللغة هي بمثابة البوابة إلى التقدم والرقي بمعنى هذا أن النهضة لا تكون إلا من خلال اللغة، و نظرا للأهمية التي تكتسيها كانت محل دراسة واهتمام كبير منذ قرون عدة وتطورت على مر العصور من قبل أقطاب عديدة و اشتغل الباحثون على جميع جوانبه.

تمثل اللغة مجموعة من العلامات اللغوية و كذا العلاقات القائمة بينها و لهذا كانت الركيزة الأساسية التي اعتمد عليها قدامى العرب في دراساتهم للغة سواء عند الجرجاني ومن قبله أو بعده وهو ما اصطلح عليه بالنظم، و لم تخلو الدراسات الغربية للغة من هذا الأساس، حيث درسوها من منظور نسقي، لتكون الثورة الحقيقية على يد "دي سوسير" الذي أرسى معالمها و جاء بعده آخرون أمثال "ليفي شتراوس" و صاحب المدرسة النسقية.

تمهيد:

يكتسب مفهوم النسق قيمته داخل البنية، و في علاقته ببقية العناصر، أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنظم العناصر و التي بها تنهض البنية فتنتج نسقا، فالعناصر لا قيمة لوجودها مفردة و إنما في سياق علاقات المنظومة.

ففي لعبة الشطرنج يحكم هذه اللعبة نسق يعتمد عليه اللاعبون، لكن استبدال عود كبريت بالوزير – مثلا- لا يغير اللعبة و لا يبدل من نسقها، فالعنصر هنا ليس له قيمة في ذاته بل بوجوده في الكل، و لذلك فالنسق هو الموضوع الكلي للعناصر.

وفي الأدب نأخذ الرمز فنقول إن الماء رمز القصيدة العربية، قيمة هذا الرمز ودلالته في نص شعري جاهلي يختلف عن قيمة الدلالية في نص شعري ولا تتبين نسق بنية القصيدة السيابية على مستوى هذا العنصر بل تتبين هذا النسق في البنية ككل.

النسق يعني نظاما من العلاقات المتفاعلة بين الأنساق الفرعية لتحقيق حالة من التوازن، ويمكن النظر إلى الأسرة كنسق اجتماعي على الاعتمادية المتبادلة بين أعضائها.

أعضاء الأسرة = أنساق فرعية = تضافر لأداء الوظائف الأساسية للنسق.

الأسرة كنسق اجتماعي تعني:

1- استمرار العضو كنسق فرعي في نسق الأسرة يشعره بأن تحقيق أهداف الأسرة يعود عليه بالنفع.

2- لكل عضو وظيفة مرتبطة بدوره (الأب، الأم، الأبناء ...الخ)، أي أن وظائف الأعضاء مترابطة وأي خلل في وظيفة عضو تؤدي إلى خلل في الوظائف الرئيسية للأسرة أي عدم التوازن.

يوسف إسماعيل- سياق الإنتاج النصي و التلقي – الفصل الثالث.

كيف تطور مفهوم النظم إلى النسق؟

و تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة هي:

- ما طبيعة النظم و النسق؟
- كيف نشأ كل من النظم و النسق؟
- من هم منظروا النظرية النسقية و ما هو موضوعها؟
- ما هي مبادئ النظرية النسقية.

إن تبلور هذه الأسئلة هي التي دفعتنا إلى إنجاز هذه المذكرة و التي عنوانها:

" النسق و دوره في اللسانيات".

"محاضرات دي سوسير في اللسانيات العامة أنموذجا".

ومن الدوافع الأولى التي أملت علينا اختيار هذا الموضوع:

- طبيعة الموضوع العلمية و المعرفية في توضيح الخلفيات النظرية للنسق في التراث العربي، وفي حقل الدراسات البنيوية، و اكتشاف كينونة التكوين النسقي في اللسانيات العامة.

- إظهار أن اللغة التي نتعامل بها يوميا، هناك علاقات وروابط قائمة بين وحداتها ولا يتم إنتاجها عن طريق العشوائية و الصدفة أي يحكمها نظام، و أي خلل في هذه الأنظمة يؤدي إلى خلل في اللغة حتى تظهر بأنها في وعاء النسق.

- النظرية النسقية نظرية جديدة ولا يخفى علينا بأنها لم تنل الضبط الوافر والدراسة الغزيرة وهذا هو واقع أي نظرية جديدة تظهر في البداية.

- إدراك مفهوم النسق في اللغة و كيفية النجاح إلى حد ما في رصد كل هذا المفهوم في الأعمال الأدبية و بالأخص النصوص الأدبية.

- ما زاد اهتمامنا بهذا الموضوع هو إثراء أهم الموضوعات التي تتعلق بدراسة النسق وحاجة النصوص الأدبية إلى هذه المقاربات.

وقد مهدنا في هذا البحث حول تعريف النسق لغويا واصطلاحا ثم تطرقنا في الفصل الأول باختصار أنه مقسم إلى:

- **الفصل الأول:**

❖ **المبحث الأول:**

1. مسار النظرية البنيوية اللسانية.
2. أهم عناصر نظرية دي سوسير.
3. النسق في الدرس الغربي الحديث.
4. أنواع النسق في اللغة العربية.

❖ **المبحث الثاني:**

1. التوجه الجديد لدى دي سوسير.
2. النسق عند دي سوسير.
3. ثنائيات سوسير.
4. النسق عند ليفي شتراوس.
5. النسق عند لويس يلمسيلف.
6. النسق عند رولان بارث.
7. المقارنة بين النظم في التراث العربي والنسق في الدرس الغربي الحديث.
8. خصائص اللسان البشري لدى سوسير.
9. أهم المبادئ التي أثرت في دي سوسير.

- **الفصل الثاني:**

❖ **المبحث الأول:**

1. تعريف النظم.
2. مفهوم النظام وتصنيفه في نسق العلوم.
3. إطلاق النظام اللغوي.
4. الانتقادات التي وجهت ضد دي سوسير.

❖ **المبحث الثاني:**

1. الاتساق لغة واصطلاحا.
2. أهم السياقات.
3. السياق عند بعض علماء الغرب.
4. السياق عند بعض علماء العرب.

تعريف النسق:

- **النسق لغة:** نسق ينسق تنسيقا الشيء نظمه[1]، نسق : النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد، ففي معجم "قاموس المحيط" نسق الكلام عطف بعضه على بعض، والنسق محركة ما جاء من الكلام على نظام واحد، ومن الثغور: المستوية ومن الحرير المنظم وكواكب الجوزاء، والتنسيق : التنظيم والتناسق بينهما، تابع و تناسقت الأشياء حروف النسق حروف العطف "عطف النسق" : العطف بالواو أو إحدى أدواتها[2].

- **اصطلاحا:** يشكل النسق جزءا مهما من أعمال دي سوسير حيث يرى أنه هو تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقاتها فيما بينها عن بعضها البعض[3]. إن الوحدات اللغوية التي تكوّن النص يجب أن تكون متماسكة و متآلفة حتى يتحقق المعنى، وكثيرا ما يكون النسق عقلانيا وكون عقلانيته غير قصدية[4]، و يعرفه "دومنينغ" على أنه شبكة المكونات المتبادلة التأثير والتي تشتغل مجموعة من أجل الوصول إلى الهدف، حيث أي تغيير يطرأ على أي مكوّن من مكونات النسق يؤدي إلى تغيير مكوناته الأخرى، هذا من جانب اللغة، أما من جانب الفلسفة فرأت أن النسق مجموعة من العناصر المتداخلة تشكل كلاما موحدا وغدت السمة النوعية له هي وجود سمات أخرى.

1- علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب معجم عربي ألفبائي، طبعة 7، تقييم محمود المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 1218.

2- خليل المجر، المعجم العربي الحديث، أعاد النظر محمد الشايب، مكتبة لاروس، باريس 1982، ص 1203.

3- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1977، ص 184.

4- عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر العربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، الجزائر سنة 2000، ص 66.

خصائص النسق:

يتميز النسق بمجموعة من الخصائص أهمها[1]:

- وجود حدود النسق، وهو الخط الذي يفصل بين ما هو ضمن النسق وشكل العناصر الموجودة خارج النسق.
- الانفتاح، فلكي يضمن النسق استمراره الطبيعي ووجوده الحيوي، يجب أن يكون في تفاعل وتبادل مستمرين مع محيطه.
- الخاصة الثالثة تقتضي النظر دائما إلى النسق بصفته نموذج مدخلات على مخرجات ومن أجل ضمان التحويل الجيد لمدخلاته إلى مخرجات يجب أن يتوفر النسق على تغذية راجحة تضمن نقل معلومات حول نتائج تحويل معين تحويل إلى مدخل لنسق لاستعمالها كمدخلات جديدة لتحويل جديد.

في نسق اللسانيات العربية: يتمثل نسق اللسانيات العربية في الكتابة اللسانية المتخصصة التي تعتمد اللغة العربية موضوع نشتغل به، ويتمحور حوله باعتبارها نسقا صوريا أو وظيفيا، ولقد حللت اللغة و فسرت بنفس المستويات المتداولة في التحليل اللساني الحديث، أما فيما يتعلق بالمناهج المعتمدة فقد انتهجت نفس مناهج اللسانيات الحديثة، التاريخي، المقارن، الوصفي، اللسانيات العربية الحديثة تميزت بإعادة النظر في وصف بنية اللغة العربية ضمن نسق مستقل، وعولجت اللغة العربية في الدرس اللغوي في التراث العربي على مستوياتها المختلفة حيث قال تمام حسان: "إن اللغة منظمة من مجموعة من الأنظمة: النظام الصوتي، النظام الصرفي، النظام النحوي."

1- محاضرات بوجادي خليفة، محاضرات في المدرسة النسقية. السنة الأولى ماستر 2010، ص 08.

النسق الصوتي في النظرية العربية:

من خلال تفحصنا للدراسات الصوتية القديمة، تبين لنا أن العرب عمدوا إلى دراسة الصوت كنسق متكامل و لم يميزوا بين دراسات الصوت لوحده وبين دراساته المستخدمة في التركيب، كما هو موجود في الدرس الحديث أين قاموا بالتفريق بين الفونيتيك* والفونولوجيا[1]. وكان "لتمام حسان" رأي في هذا الموضوع حيث قال: " فالجهاز الصوتي أو النظام الصوتي للغة يدرس عالم الصوتيات phonology مستخدما في دراساته العناصر الآتية، معطيات علم الأصوات phonetic" متألفة من العناصر العضوية الإيجابية وطائفة أخرى من المقابلات والقيم الخلافية[2].

1- خليفة بوجادي، محاضرات في المدرسة النسقية، ص 14.

2- تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها ، ص 34 ، 35.

- *: هي أعضاء النطق، مخارج الأصوات، صفات الأصوات العربية، الدراسة الوظيفية للصوت (الفنولوجية) تتمثل في الكلم الصوتي.

مسار النظرية البنيوية اللسانية:

يعد الحديث عن البنيوية بوصفها مستمدة من نظرية سوسير اللسانية والتعريف بأهم أسسها أو مبادئها تتناول فيما يلي جوانب من مسار هذه النظرية أو مصيرها.

إذ على الرغم من إشادة الدارسين بأهمية نظرية سوسير وما قامت عليه بدأ الأمر غير واقعي وذلك ببدء البعض في الخروج عن إطارها العام مما أسفر عن ظهور اتجاهات جديدة في الدرس اللساني باستثمار المعطيات اللسانية. ومن المبادئ الأساسية للسانيات سوسير:

- إعطاء الأولوية للمنطوق قبل المكتوب.
- اللغة شكل و ليست مادة.
- ثنائية الدال و المدلول.
- تركيز الدراسة على اللسان لا الكلام.

أهم عناصر نظرية دي سوسير:

- التركيز على نظام (العلاقة) البنية.
- التمييز بين منهجي الدراسة الزمني و الآني.
- التمييز بين اللسان و الكلام.
- معالجة العلاقات السياقية والعلاقات الترابطية والاهتمام بمحوري الاختيار والتركيب.
- إعطاء الأولوية للمنطوق على المكتوب (زوال بعض الأصوات وظهور البعض الآخر في المنطوق).
- ثنائية الدال والمدلول وطبيعتها النفسية.
- العلاقة الاعتباطية بين الدال و المدلول.
- اكتفى دي سوسير بثنائية الدليل اللغوي و لم يركز على المرجع.

محاضرات في آليات التحليل اللساني.

يقول "جون بياجيه": "إن البنية هي نسق من التحولات، له قوانين خاصة وباعتباره نسق" وتتسم البنية بثلاث سمات :

أ- الكلية: تتكون البنية من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق، بحيث لا يكون للعنصر الواحد و لا للكل أهمية، إنما المهم هو العلاقة القائمة بين العناصر باعتبار أن هذا الكل هو حصيلة هذه العلاقات.

ب- التحول: إن النسق ليس ثابت و إنما يتميز بالحركية، إذ يقوم على سلسلة من التغيرات تبقى خاضعة لقوانين البنية ⟵ لحركة منظمة.

جـ -الانتظام الذاتي: إن هذه العناصر المكونة للبنية تنظم نفسها أي أنها تنظيم مما يحفظ لها وحدتها (الإتحاد) و يضمن بقاءها و استمراريتها، كما أن هذا الانتظام يحقق لها استقلاليتها وإغلاقها على ذاتها.

- محاضرات في آليات التحليل اللساني.

النسق في الدرس الغربي الحديث:

إن النهضة الأوروبية التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر لم تمس الجانب الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي فقط، بل مست أيضا الدراسات اللغوية. فقد جاء عدد من اللسانيين فأحدثوا قطيعة مع الدراسات التي كانت سائدة، بتخليها عن النظرة الفلسفية للغة ، كما تخلوا عن الدراسات التاريخية، حيث انتقلوا إلى وصف اللغة و تحليلها. فمجيء "فرديناند دي سوسير" غير مجرى لسانيات القرن العشرين[1]، و أدخلها في مجال العلمية و التجريد و جاء بأفكار لم يسبق إليها أحد، و من ضمنها فكرة النسق. و الذين جاؤوا بعده أطلقوا عليه مصطلح البنية لتكون فيما بعد موضوع اهتمام العديد من اللسانيين والدارسين، ونجد مجموعة من اللسانيين "ليفي شتراوس"، "ليفي يلمسلف" (مدرسة كوبنهاغن)، "رولان بارث" و غيرهم. لكن يبقى دائما "دي سوسير" أول من توصل إلى مفهوم النظم الذي يمثل تلك العلاقات القائمة بين الوحدات اللغوية المختلفة، ففي البداية أطلق عليها مصطلح (la forme) و بمجيء "دي سوسير" استخدم مصطلح النظام (système)، أما الذين جاؤوا بعده فأطلقوا عليه مصطلح البنية لأنهم وجدوا في الجمع و التأليف بين الوحدات اللغوية شبيهة بفعل البناء، ومن هنا يتبين لنا أن اللغوي "دي سوسير" أول من وضع مفهوم النظام ، ولا يظهر تفوقه هنا فقط، بل تعداه إلى دقة دراساته الأخرى، و قد اتضح ذلك في كتابه الشهير "محاضرات في اللسانيات العامة" (Cours de linguistique générale).

فعلى الرغم من عدم اعتراف الفرنسيين و الأمريكيين و عدم استيعابهم إلى أن جاء فيما بعد كل من " تروب سكوي" و "رومان جاكسبون" يبقيان الأولين الذين أدركا تلك المفاهيم اللغوية التي توصل إليها "دي سوسير"* و تفطن إلى ضرورة دراسة النظام الغوي الذي يحكم العناصر اللغوية.

1- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2002، ص 121 .

-*: ولد في جونيف بسويسرا، تلقى التعليم الأول في جنيف ، تولى منصب مدير الدراسات للمدرسة التطبيقية للمدرسة العليا أثناء إقامته بباريس، كان أستاذا محاضرا في اللسانيات التاريخية والمقارنة. :كان له ثلاث مؤلفات: دراسة حول النظام البدائي للصوامت في اللغات الهندوأوروبية، محاضرات في اللسانيات العامة، وهو أيضا مؤسس المنهج الآني ومنظر كل من البنيوية والسيمياء.

أنواع النسق في اللغة العربية:

النسق الصرفي في النظرية العربية:

لم يلق الدرس الصرفي العناية بنفس المرتبة مثل الدرس الصوتي و النحوي ، لقد اتخذت هذه النظرية منسقا متميزا في دراسة بنية الكلمة في العربية، فالنظام الصرفي للغة مكون من ثلاث دعائم ، فالأمل مجموعة من المعاني الصرفية يرجع بعضها إلى التقسيم كالاسمية والفعلية والحرفية، و يرجع بعضها إلى التصريف كالتذكير و التأنيث و التعريف و التنكير و الثاني طائفة من العلاقات العضوية الايجابية وأخرى من المقابلات أو القيم الخلافية بين المعنى والمعنى، وبين المبنى والمبنى.

النسق الدلالي في اللغة العربية:

نتحصل على الدلالة من خلال اللغة، و النسق الدلالي متناسق مع المستويات اللغوية الأخرى من حيث التفريق بين الدلالة الصوتية و الدلالة الصرفية و الدلالة النحوية وهذا ما جعل النسق الدلالي يختلف عن الأنساق الأخرى فهو شامل وعام، ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن النظرية العربية في القديم كانت شاملة و متكاملة على جميع مستوياتها ، أما حديثا فأصبحت كل دراساتها مبنية على التجزيء.

النسق النحوي في النظرية العربية:

إن دلالة المصطلح النحوي في التراث العربي القديم يخالف مفهومه حديثا، ففي البداية كان يدل سبويه، أما حديثا فتنصب على جانب تركيبي في اللغة فقط، لهذا فالنسق النحوي هو ما يمثل رؤية متكاملة لنظام العربية صوتا و دلالة و أسلوبا وصرفا. فالنظام النحوي للغة يتكون من طائفة من المعاني النحوية العامة كالخبر والإنشاء والإثبات... ومجموعة من المعاني النحوية الخاصة كالفاعلية و المفعولية والحالية... و مجموعة من المعاني التي تربط بين المعاني الخاصة كعلاقة الإسناد والتخصيص والعنصر الرابع من عناصر النظام النحوي هو ما يقدمه علما الصرف والصوتيات لعلم النحو، وأخيرا تأتي القيم الخلافية بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق كأن نرى الخبر في مقابل الإنشاء مثلا.

1- تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص 35، 36.

2- خليفة بوجادي، محاضرات في المدرسة النسقية، ص 18. ص 16.

يكون النسق كالتالي:

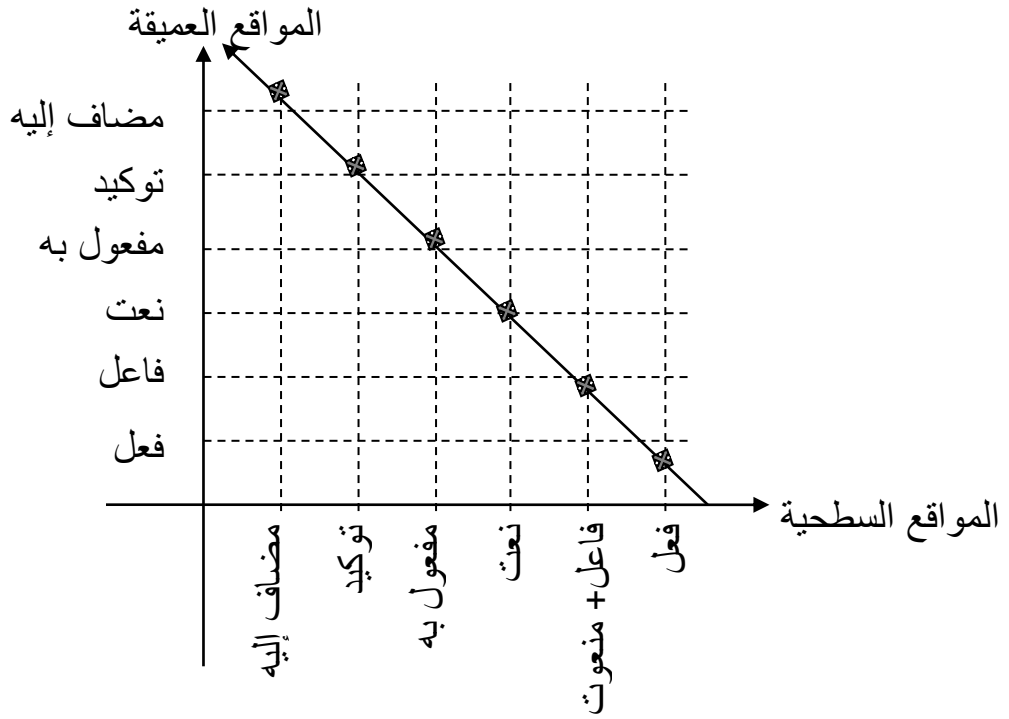

- في هذا الشكل شغل الفاعل وظيفتين، وكذلك المفعول به، فالفاعل منعوت والمفعول به مؤكد مع أن كل واحد منهما له موقع واحد فقط، لأن نسق أسلوب النعت يتكون من عنصرين: منعوت + نعت. ونسق أسلوب التوكيد يتكون من عنصرين: مؤكد + مؤكد.

- رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، حسن خميس الملخ، طبعة 2007، ص 109.

أنواع النسق في العربية:

من خلال الشكل الذي تطرقنا إليه للنسق ثلاثة أنواع:

أولا: النسق المفرد البسيط: وهو الذي يتكون من عناصر أفقية تساوي المواقع العميقة من غير تأويل مثل النسق (فعل+ فاعل + مفعول به) في النحو (شاهد زيدٌ خالدا).

ثانيا: النسق المركب: وهو الذي يتكون من عناصر أفقية يمكن اختزالها في المواقع العميقة إلى عدد أقل، مثل النسق (مبتدأ + فعل+ فاعل مستتر + مفعول به) في النحو (زيدٌ شاهد خالدا) الذي يمكن اختزاله بالتأويل إلى النسق (مبتدأ + خبر).

ثالثا: النسق المتداخل: وهو الذي يجمع عدة أنساق غير مؤولة موقعيا في داخله مثل النسق (فعل+ فاعل + نعت + توكيد + مضاف إليه) في النحو (شاهد زيد المجتهد خالدا نفسه) لأنه عند تحليله إلى الأنساق الجزئية لا يتأول.

وتقسم هذه الأنواع من حيث إمكانية النظرية المجردة للتقديم والتأخير إلى نوعين:

1- **النسق المرن :** و هو النسق الذي تقبل عناصره كلها أو بعضها التقديم و التأخير نظريا في القاعدة العامة لها ، مثل المفعول به في النسق (فعل + فاعل + مفعول به) إذ يقبل التقدم والتوسط و التأخر ما لم يمنع مانع.

2- **النسق الصلب :** وهو الذي لا يقبل التقديم و التأخير فتقسم الأنساق إلى نوعين :

أ- **النسق المتحرك :** وهو الذي تقبل عناصره كلها أو بعضها التقديم والتأخير بدليل إمكانية رد تحولاتها إلى شكل واحد من النسق، هو القاعدة العامة للباب مثل النسق (فعل+ فاعل+ مفعول به)، في النحو" شاهد زيد خالدا " فيمكن أن نقول " خالد شاهد زيدا "وهو يختلف عن النسق المرن بالإمكانيات التطبيقية للتقديم و التأخير.

- رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، حسن خميس الملخ، ص 110.

ب- **النسق الثابت :** و هو الذي يأتي أسلوبه على شكل واحد لا يقبل إعادة الترتيب عملي إما لأنه نسق صلب ، أو لأنه فاقد لإمكانية التقديم و التأخير بسبب علة نحوية مثل :

- ما أجمل السماء؟
- هو الله.
- رأى عيسى موسى.
- إن تدرس تنجح.

ويصوغ جمهور النحاة عادة النسق الثابت بعلل متباينة مثل : الصدارة ، والحصر وفقد الوظيفة الإعرابية و خفاء علامات الإعراب ...، وهذه التعليلات اجتهاد من النحاة في تفسير النسق الثابت، كل نسق على حدة، وهذا تفكيك لظاهرة التقديم والتأخير، وتوزيع لأسبابها على أبواب النحو العربي، كأنها لا تشكل ظاهرة واحدة فهل نجتهد في تفسير كلي لهذه الظاهرة من وجهة نظر معجمية.

أجاز النحاة التقديم والتأخير والتوسط للمفعول به وعندما تحولت الجملة إلى الجملة الاستفهامية.

- من شاهد زيد؟

منع النحاة حركة المفعول به (أداة الاستفهام).

- رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، حسن خميس الملخ، ص 110.

التوجه الجديد لدى "دي سوسير":

يرتبط التوجه الجديد الأساسي باسم "دي سوسير" فقد مهد له فلسفيا هوسرل "Husserl" وتحليله الفلسفي بمفهوم العلامة (مرتبطا بعناصر ذاتية، مثالية لرؤية الجوهر) وتنحيته المذهب النفسي، واجتماعيا دوركايم " Durkheim" وبخاصة تحديده لجوهر اجتماعي بأنه واقع خارجي ومتجاوز للفرد، ولا توضح أهمية "دي سوسير" وضوحا كاملا إلى حين نضع نصب أعيننا الصورة المرسومة آنذاك لوضع علم اللغة قبل دي سوسير: فإن دي سوسير أيضا لا يخرج ابتداء - مثل فونت - فوسلر وفردة وماورر - إلا من الطرف الآخر تماما - للتغلب على فكر النحاة الجدد. ولكنه تغلب في ذلك في الوقت نفسه على أولئك الذين ضنوا أنهم قد تغلبوا قبله ومعه على النحاة الجدد، ومع دي سوسير الذي انتقلت معه القيادة في علم اللغة من ألمانيا إلى الخارج - بدأت جهود إدراك اللغة بوصفها لغة ،بوصفها نظاما من نوع خاص و عدم اختزالها إلى شكل، بل إنها لا تحلل أيضا إلى ما هو غير لغوي.

عرض "دي سوسير" علمه في محاضراته في جنيف منذ سنة 1906 م، التي تنشر إلى بعد موته سنة 1916 تحت عنوان Cours de linguistique générale دروس في الألسنة العامة على يد تلميذه بالي Bally وسيشهاي عن ملاحظاتهما على محاضراته، وبناء على هذه النشأة فليس هذا المؤلف الأساسي في علم اللغة الحديث إلى حد ما وحدة واحدة، ولذلك فقد قدم باستمرار أيضا الباعث على تفسيرات متباينة ونقاشات حامية.

الدكتور سعيد حسن بحيري: أستاذ علوم اللغة، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ص 67.

النسق عند سوسير:

يتجلى النسق عند سوسير في ثلاث مستويات : اللسان (la langue) ، اللغة (le langage)، الكلام (la parole) ، و صاغ ثنائياته بتطبيق مفهوم النقيض و فيها تظهر فكرة نسق اللغة و من بين هذه الثنائيات: الدال/ المدلول، الآنية / الزمانية، التركيبية / الاستبدالية، و سيظهر ذلك عندما نتطرق إليه فيما سيأتي:

1. اللسان: ظاهرة اجتماعية وجزء من الفطرة و يعني الاكتساب والإنتاج، "ويدل اللسان على النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان قوم من الأقوام"[1]. اللسان أعم من اللغة والكلام لأنه يهتم بلغة قوم ما، فاللسان يدرس لغة من اللغات مثل اللسان العربي، اللسان الفرنسي، اللسان الانجليزي، و قال عز الدين إسماعيل عن اللسان في مقدمته الوافية لكتاب كللر: "اللسان نظام لغة ما ... واللسان هو ما يتمثله الأفراد عندما يتعلمون لغة ما، أي أنه جملة من الصيغ"[2]. لذا فاللسان هو النظام الذي يحكم لغة ما، العناصر اللغوية تكسب أهميتها من خلال مقابلتها مع العناصر الأخرى " اللسان نظام **(système)** تربط فيه جميع أجزائه بعضها البعض"[3].

واللسان في تصور "دي سوسير" "نسق لا يعرف إلا طبيعة نظامه الخاص... يقوم على اعتباطية العلامات و لا قيمة للأجزاء إلا ضمن الكل"[4].

1- أحمد مومن، النشأة و التطور، ص 123 .

2- عز الدين إسماعيل، كتاب كللر : نقلا عن عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة نحو النظرية النقدية العربية، ص 207.

3- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007، ص 155.

4- أحمد يوسف، القراءة النسقية – سلطة البنية و وهم المحايثة، ص 119.

2. اللغة: نظام لا يختلف عن الأنظمة البشرية الأخرى كنظام الكتابة ونظام الصم والبكم، وهي أهم هذه الأنظمة، لأنها تعبر عن ذاتها بنفسها لكون الأنظمة الأخرى لا تفهم إلا بترجمتها لها اللغة، وهذه الأخيرة أكثر انتشارا ،غير مقيدة بمكان وزمان ولا تخص طبقة معينة، وبذلك فهي ظاهرة إنسانية مدركة، و ما تميز به اللغة من نظامها ;اختلاف أدلتها، كما أن العلامة اللغوية لا تكتسي قيمتها إلا بارتباطها بالعلامات الأخرى وهذا ما ذهب إليه "دي سوسير" في قوله: "إن اللغة منظومة، لا قيمة لعلاماتها اللغوية إلا بالعلاقات القائمة بين هذه العلاممات، وبالتالي فإنه لا يمكن للألسن اعتبار مفردات لغة ما مستقلة بل إن لزاما عليه دراسة العلاقات بين هذه المفردات" [1]. في موضع آخر "فاللغة نظام من العلامات ولا تعد الأعراف يربط بين الأصوات والأفكار"[2].

اللغة تقوم على أساس العلامات اللغوية ألا وهي الأصوات، وهذا الصوت لا معنى له إن لم يجاوره صوت آخر وهذا ما يعبر عن حقيقة الأفكار، فاللغة إذن تعاقد بين الأصوات والأفكار"[3].

1- دي سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة نقلا عن أحمد مومن، ص 124.

2- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 202.

3- كاثريك فوك و بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ترجمة منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1980، ص 18.

نسق اللغة عند "دي سوسير" هو انتظامها لهذا على اللساني الاهتمام بالنسق اللغوي أثناء دراسة الظاهرة اللغوية لأن اللغة لا تعبر بعلامة واحدة بل بعلامات متعددة، فاللغة ليست هي الأصوات و الأفكار بل هي النسق فالعلامة بذاتها تقل أهميتها ما لم تكن مجاورة للعلامات الأخرى مثلا: (أصدرت المحكمة قرار العفو عن المتهم) فالعلامة اللغوية أصدرت الفعل لا تظهر أهميتها إلا بعلاقاتها بالعلامات اللغوية الأخرى، من فاعل (المحكمة)، المفعول به (قرارا)، والمضاف إليه (العفو)، وشبه الجملة من الجار والمجرور (عن المتهم)، و نحن كأفراد ننتمي إلى مجتمع لا يمكن لأحد منه الخروج عن مجموعة من القواعد اللغوية المتواضع عليها، و تنجح على ذلك بالقول " فهي كنز اجتماعي من الوحدات و القوانين تمثل نظاما عاما لا يمكن للفرد أن يحيد عنه"[1]. وقال دي سوسير أيضا في هذا المقام " إن اللغة توجد على شكل مجموعة من البصمات في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم تقريبا"[2].

1- أحمد مومن، النشأة و التطور ، ص 127.

2- De Saussure- Cours de linguistique générale 1916

Wode bokins translation 1974 p 9

3. **الكلام:** هو الاستغلال الفردي للغة، إذ يضفي الفرد أثناء تأديته للغة مجموعة من السمات الشخصية المتميزة، لهذا أصبح الكلام يختلف من فرد لآخر على الرغم من وصف ظاهرة واحدة و ذلك حسب الحالة النفسية للشخص من فرح، حزن، ابتهاج. وهذا ما جعل "دي سوسير" يستبعد الكلام عن دراساته معتمدا على اللغة لكونها تخضع لنظام صارم و متفق عليه، على الرغم من اختلاف الحالات النفسية للفرد أثناء تأديته للغة حسب رأيه، عبره و أنت حزين أو مبتهج أو خائف تبقى اللغة هي، فالكلام " فعل كلامي ملموس ونشاط شخصي مراقب، يمكن ملاحظته من خلال كلام الفرد أو كنياتهم"[1]. ويتبين ذلك من خلال قول "عز الدين إسماعيل" في مقدمته لكتاب "كللر": "الكلام هو الحدث الفعلي أي الأفعال الكلامية التي تسمح بها اللغة"[2]. نفهم أن الكلام هو التأدية الفعلية للغة من طرف المتكلم، و قد أضاف "دي سوسير" عن الكلام في قوله:" إنه مجموع ما يقوله الأفراد"[3]. فإذا كانت اللغة مهمة بالنسبة للساني لأن موضوع اللسانيات هو اللغة، فإن الكلام أفاد و بشكل كبير بعض الحالات كالحبسة* والأمراض العقلية والنفسية[4] باستثناء "دي سوسير" يعي الكلام بتميزه بصفة الفردية ونسيانه على أنه كان بمثابة المنطلق لظهور لسانيات النص[5].

-*:هو اصابة وأذى في الدماغ الذي يفقد القدرة على الكلام.

1- أحمد مومن، النشأة و التطور، ص 124.

2- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 207.

3- أحمد مومن، النشأة و التطور، ص 124.

4- أحمد مومن، النشأة و التطور، ص 124.

5- كاثريك فوك و بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، ص 13- 20.

من خلال مفهوم كل من اللغة واللسان تتضح لنا حقيقة أن هناك فرقا بينهما لأن الأول جزء من الثاني، ويظهر ذلك من خلال تصريح دي سوسير: "لا ينبغي الخلط بين اللغة واللسان فاللغة جزء محدد منه بل عنصر أساسي"[1]. وفي موضوع آخر قال: "اللسان مجموعة من المواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي، ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة إذا أخذنا الكلام جملة بدا لنا متعدد الأشكال متباين المقومات موزعا في الآن نفسه بين ميادين متعددة بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي منتميا في الآن نفسه إلى ما هو فردي وما هو جماعي، ولا يتسنى لنا ترتيبه ضمن أي قسم من أقسام الظواهر البشرية لذا لا نستطيع أن نستخرج وحدته "[2]. فاللسان موجود لدى الجماعة وهو شيء صوري كائن في الأذهان أي مجموعة من المصطلحات المتواضع عليها من طرف جماعة يشتركون فيها، في حين إن الكلام هناك عوامل تتدخل فيه مثل: جهاز النطق، هيئة الجسم، الحالات النفسية المختلفة وقد يكون فرديا أو جماعيا، أما اللغة فهي مجموعة القواعد التي ينبغي لمتكلمي تلك اللغة أن يلتزموا بها إذا أرادوا الاتصال بينهم"[3]. فهي جل القوانين التي يلزم بها مستعملوها من أجل تحقيق التواصل فيما بينهم لهذا تكون اللغة عبارة عن مجموعة من العلاقات والقوانين تحكم مجموعة من العناصر المنتظمة في تناسق"[4].

وكخاتمة لما قدمناه من تعريفات للمصطلحات: اللسان / اللغة / الكلام فإن الفرق بينهم يتبين من خلال أن "اللسان هو نظام لغة ما، أي بوصفها نظاما من الصيغ، في حين إن الكلام هو الحدث الفعلي، أي الأفعال الكلامية التي تسمح بها اللغة"[5].

يتبين لنا من خلال هذا القول أن اللسان هو النظام الذي يحكم اللغة باعتبار أن هذه الأخيرة هي مجموعة من العلامات اللغوية تحكمها علاقات، والكلام هو التأدية الفعلية للغة من طرف متكامل.

1- أحمد مومن، النشأة و التطور، ص 124.

2- دي سوسير، دروس في الألسنة العامة، ترجمة القرماذي، ص 29.

3- جون ستروك، البنيوية و ما بعدها، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص 12 – 13.

4- دي سوسير،محاضرات في اللسانيات العامة، ص 99 نقلا عن الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية- دراسة تحليلية ايستميولوجية- دار القصبة للنشر، الجزائر 2001 ص 51 .

5- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 207.

ثنائيات "دي سوسير":

- **ثنائية الدال و المدلول:** تظهر فكرة انتظام اللغة لدى "دي سوسير" في ثنائية الدال والمدلول ويتمثل الأول في الجانب المادي (الصورة الصوتية) و الثاني يتمثل في (الصورة الذهنية) و هذا ما نلمسه من خلال التوضيح الذي قدمه لنا في "ينبغي أن تكون جزءا من نظام العلامات، و العلامة هي اتحاد بين شكل يدل، يسميه **"**دي سوسير" الدال (signifiant) وفكرة يدل عليها يسمى المدلول (signifié)، ومع أننا قد نتكلم عن الدال و المدلول كما لو كانا عنصرين منفصلين فإنهما لا يوجدان إلا بوصفهما مكونين للعلامة اللغوية"[1]. و تجدر الإشارة هنا إلى فكرة أن تقسيم العلامة اللغوية إلى الدال و المدلول بمعنى أنهما ليسا على انفصال، بل توجد علاقة بينهما وهي اعتباطية، أي أن هذه العلاقة بين الدال و المدلول تتحقق من خلال الصوت والصورة الذهنية[2]. و قد أكد عبد العزيز حمودة بأحسن مثال على ذلك: إنه عندما يصدر الإنسان صوت "كلب" نستقبله بأنه حيوان أليف و من هنا نكتشف وجود علاقة بين الصوت و الفكرة.[3] و تظهر هذه الفكرة أكثر في قوله:" وكل ما قصد إليه "سوسير" هو أن العلاقة بين الدال والمدلول كما هي الحال في مفهوم الخبر وكلمة الخبر الدالة عليه، كانت في الأصل اعتباطية.[4]

أي عندما ننطق صوت خبر يأتي إلى ذهننا مباشرة صورة الخبر والدليل اللغوي عند "سوسير" الذي يتألف من الدال و المدلول تأثر بالجانب النفسي و الدليل أصلا يتمركز في الدماغ و يتحقق أثناء الكلام، إذ نجد أن الواقع اللغوي يبين أنه لا يمكن للفرد أن تكون له حرية تغيير ذلك الدليل إنما هو تواضع من طرف الجماعة اللغوية.

1- عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة، ص 202.

2- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1990 .

3- عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة، ص 205.

4- عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة، الصفحة نفسها.

و يظهر ذلك في المثال المشهور والمتداول:

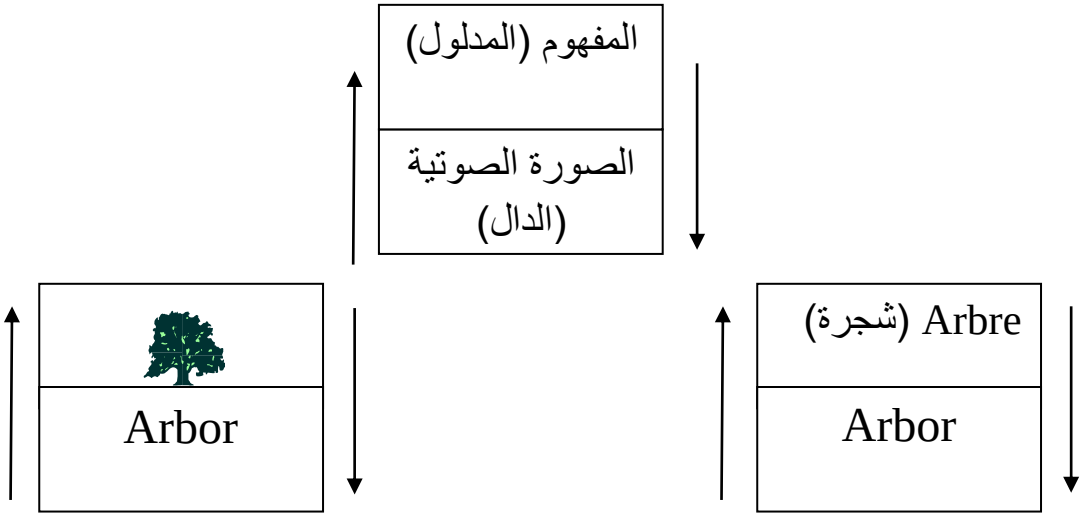

الصورة الصوتية ش/ج/ر/ة تمثل الدال، أما / / فتمثل الصورة الذهنية "المدلول" و كل هذا يمثل الدليل اللغوي و بذلك يرى "سوسير" أن اللغة هي مجموعة من الدلائل اللغوية.

- **ثنائية الآنية و الزمانية:** عدم تمكن اللغويين الذين يدرسون اللغة دراسة تاريخية من وصف اللغة في حد ذاتها و كذا دراسة حقائق اللغة دفع "دي سوسير" للتخلي عن هذا الاتجاه لعدم القدرة على الوصول إلى الحقائق المختلفة ، وعمد إلى دراسة اللغة باعتبارها نظاما من العلامات يستوجب إتباع طريقتين مهمتين: الأولى تنصب حول دراسة نظام لغة في زمن معين ألا و هي الآنية (synchronique)، أما الثانية فتكمن في دراسة أنظمة اللغة و تغيراتها عبر الأزمنة المختلفة ألا و هي الزمانية (diachronique).

لقد تم إعطاء الأولوية للدراسة الآنية عند "سوسير" لأن دراساته كانت أكثر عملية[1].

1- كاثريك فوك و بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص 20.

➢ **العلاقات التركيبية و الاستبدالية:**

إن معرفة "دي سوسير" حقيقة أن العلامة اللغوية لوحدها، أي منعزلة تختلف عنها وهي داخل نظام أدى به إلى إدراكه وجود محورين أساسيين يقوم عليهما مبدأ العلاقة بين العلامات.[1] فما المقصود بالعلاقات التركيبية و العلاقات الاستبدالية؟

1- العلاقات التركيبية: هي تلك العلاقات القائمة بين الوحدات مثلا: "قدم المعلم الدرس"، نجد أن الوحدة (الفعل) "قدم" له علاقة مع الوحدتين الأخريتين (المعلم) (فاعل) و(الدرس) (مفعول به).

و ينظر إليها "دي سوسير" من حيث هي "مبنية على صفة اللغة الخطية، تلك الصفة التي لا تقبل إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد، و هذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب لآخر ضمن السلسلة الكلامية"[2] و تتمثل أهمية هذه العلاقات في أن "عبارة ما في تركيب ما لا تكتسب قيمتها بتقابلها مع ما يسبقها أو ما يليها أو الاثنين معا".[3] الوحدات اللغوية لا تظهر قيمتها إلا عندما تكون مجاورة لوحدات أخرى.

2- العلاقات الاستبدالية: قبل وفاة "دي سوسير" كان المصطلح المتداول في الدراسات اللغوية السائدة آنذاك هو العلاقات الاشتراكية لكن بعد وفاته استعملت العلاقات الاستبدالية و هي استبدال علامة لغوية بعلامة أخرى غير موجودة "تعكس علاقات موجودة بين علامة أخرى غير موجودة أصلا بل موجودة في أذهاننا طبعا"[4]. هي العلاقات التي تربط عناصر الكلام بغيرها من العناصر الغائبة، ففي المثال السابق نستطيع استبدال كلمة "قدم" بكلمة "شرح".

من خلال المفاهيم اللسانية الدقيقة سالفة الذكر التي قدمها "سوسير" و التي اتسمت بالعلمية والموضوعية ظهرت فكرة النسق في اللغة، أي العلاقات الموجودة بين العناصر ووحدات اللغة المختلفة.

1- الطيب دبة، مبادئ اللسانيات، ص 89 .

2- دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة، ص 149.

3- الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، الصفحة نفسها.

4- أحمد مومن، النشأة والتطور، ص 130 – 131 .

النسق عند ليفي شتراوس:

يعتبر "كلود ليفي شتراوس" من بين اللسانيين الذين أدركوا اللغة وتاريخها، والإسهامات الكبرى التي أثرت في نظرياته البنيوية، الإسهام الأول يتجلى في اهتمامه العميق بالأنتروبولوجيا وثانيها تعرفه على "رومان جاكبسون" الذي سانده في الاهتمام بعلم اللغة البنيوي وثالثها تتبين عندما ربط ما هو ماض بما هو حاضر، أي أن كل الأفعال التي يقوم بها الإنسان وتصبح من الماضي يعيدها ويكررها في الحاضر."وتظل متصلة الوجود ... مازجة الزمان بالمكان." [1] وتلك العوامل التي ساعدت ودعمت نظرية أنساق القرابة [2] والتي نقصد بها مجموعة العلاقات التي تحكم مجموعة من اللغات والثقافات، لأن "ليفي شتراوس" كان مولعا بالتشابه الكائن بين اللغات والثقافات وبذلك ميز بين اللغة والكلام.[3]

ففكرة النظام عند "شتراوس" شبيهة باللغة والكلام عند "سوسير" لكون الأول مرتبط بالجانب النظري، والثاني كلما نظرنا إلى الممارسة والتطبيق والكلام يكتسي معناه الحقيقي بطبيعة الحال من النظري ولا يمكن أن يخلو الكلام من اللغة، وقد أكد "مجدي الجزيري" هذه القضية بقول "سوسير": قد شبه العلاقة بينهما بقطعة الورق الواحدة، لا تستطيع أن تفصل أحد وجهيها دون تمزيق الوجه الآخر.[4]

1- إيديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، دار سعاد السيات ص 37.

2- إيديث كريزويل، عصر البنيوية، ص 40.

3- إيديث كريزويل، عصر البنيوية، ص 41.

4- مجدي الجزيري، البنيوية والتنوع البشري و كلود ليفي شتراوس، ص 237.

النسق عند "لويس يلمسليف":

في مطلع القرن العشرين، ظهرت مدرسة يلمسليف التي ارتكزت مبادئها على تطوير أفكار "دي سوسير" وتبدو نظريته هذه كنظام من القضايا الأولية، التي تندرج ضمنها مفاهيم "دي سوسير" الأساسية عبر منهجية استنباطية دقيقة [1]، وهناك من أطلق عليها تسمية المدرسة السوسيرية الجديدة كما تعرف خاصة على أفكار سوسير ومناهجه التي ساعدته على إرساء دعائم نظريته العلمية الغلوسيماتيك.[2] ونشأت هذه الأخيرة ضد مدرسة (براغ). كانت رغبة التمايز عن مدرسة براغ قد تجسدت بخلق مصطلح "الغلوسيماتيك." [3] وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهت هذه المدرسة بسبب انحصارها في الدانمارك وعدم ترجمة هذه المدرسة إلى اللغات الأخرى إلا أنه بعد الحرب العالمية ذاع صيتها وأصبحت معروفة خارج الدانمارك واعترف بها الكثير من اللسانيين حتى أصبحت الغلوسيماتيك موضوع مناقشات موسعة على مستويات مختلفة.[4]

1- ميشال زكرياء الألسنية، (علم اللغة الحديثة) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1983، ص 46.

2- أحمد مومن، النشأة والتطور، ص 157.

3- أحمد مومن، النشأة والتطور، ص 159.

4- أحمد مومن، النشأة والتطور، الصفحة نفسها.

فبنية اللغة عند " يلمسليف"عبارة عن نظام يجب الاعتماد عليه وعلى الرياضيات تحليلها[1] والوحدة اللغوية عنده تتكون من الصورة والمادة وتظهر المادة عند تأدية الصوت للمعنى، في حيث الصورة هي تلك العلاقات التي تحكم مجموعة من الوحدات تتبين قيمتها في العلاقات القائمة وليس في المادة، وهنا نقطة الالتقاء بينه وبين "سوسير" في كون اللغة صورة وليست مادة و يتبين قيمتها في العلاقات القائمة و ليست مادة ويتبين ذلك من خلال أن اللغة عند يلمسليف تنتهي على الصورة أو الشكل وهو مناط الخلاف بين اللغات إذ الدلالات أو المعاني هي أمر مشترك بينهما[2] وهذه اللغة التي يقوم بدراستها لا تتمثل ف العلاقات لوحدها، بل في العلاقات التي تحكمها كل وحدة من وحدات اللغة ومهما صغرت لا يمكن معرفة طبيعتها إلا من وجود الوحدات الأخرى و بالنظر في طبيعة العلاقات بينهما[3] . ولقد استدل على ذلك بمثال يبين فيه الفرق بين "الصامت" (consonant) والصائت أن الصائت يمكن أن يكون وحده في جملة من الجمل، أما الصامت فلا يمكن له ذلك في بعض اللغات لأن الغلوسيماتيك لا تنظر فقط إلى ذلك العنصر أو الوحدة إنما بحثت عن الأحكام التي تقبل بالقوانين اللغوية. من ثم أعادت صياغة القوانين اللغوية بصورة جديدة[4].

1- خليل حلمي ، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 115.

2- خليل حلمي ، العربية وعلم اللغة البنيوي،الصفحة نفسها.

3- خليل حلمي ، العربية وعلم اللغة البنيوي، الصفحة نفسها.

4- خليل حلمي ، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 116.

وأحسن مثال على أن حرف الجر يختص بالأسماء، وأن وروده في جملة حتما يؤدي إلى ظهور الاسم[1] فهو دون النظر إلى اللغة مثلما رآها "دي سوسير" كشكل وليست مادة يعني وجود المعنى للمادة هذا من جانب ، ومن جانب أخر اتفقت كلاهما على إعطاء مفهوم واحد للدال، أما فيما يتعلق بالمدلول فقد اختلف "يلمسليف" عن "دي سويسر" حيث أن المدلول يظهر في قيمته فإن اللغة نظام من القيم [2] ولا يظهر اختلافهما في هذه النقطة فقط، بل يتعداه إلى اختلاف آخر حقيقي وهو استبدال يلمسليف ثنائية الدال و المدلول بثنائية مستوى التعبير و مستوى المحتوى و يتمثل كليهما في الوحدات الدالة (الحرف) للكلمة مثلا الدليل اللغوي جامعة تحلل إلى حروف ج/ا/م/ع/ ة ومن هذين المستويين تتكون اللغة والعلاقة بينهما هي العلامة اللغوية. [3] بمعنى منه أن النظرية أثبتت أساس اهتمام العلاقات القائمة بين الوحدات اللغوية، و أن كل علاقة من هذه العلاقات لا يمكن معرفتها إلا بمجاورتها مع العلاقات الأخرى ويؤكد هذه القضية بقوله: "هي عناصر ذات علاقات محددة مع عناصر أخرى داخل بنية معينة في لغة معينة[4]. و بذلك تتمثل البنية اللغوية عند "يلمسليف" في العلاقات الداخلية.

1- أحمد مومن، النشأة والتطور.

2- أحمد مومن، النشأة والتطور، ص 162.

3- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 116.

4- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص 68، نقلا عن حلمي خليل ص 117.

أما الرسم عنده فيتمثل في ذلك التصور المجرد الخالي من التجسيد الصوتي له. وتكون تلك الصورة مترابطة بين أجزائه. مثلا عندما نتصور صورة في الذهن دون التلفظ بها نتصوره ككل وليس كأعضاء منفصلة أي الرأس لوحده واليدين لوحدهما[1].

من خلال ما سبق استقراضه من الأفكار التي جاء بها " يلمسليف" يتضح لنا أنه فعلا أحدث مجموعة من التغيرات فيما يتعلق بالدراسات اللغوية إذ حاول عصرنة الدراسات اللغوية باستخدام مناهج رياضية لغوية[2] ، و بهذا تكون النظرية النسقية التي جاء بها "يلمسليف" و أرسى معالمها وفق ما يخالف اللسانيات السابقة، ورخص إدخال العوامل الخارجية (غير اللسانية) في التعامل مع اللغة لا يجب أن تدرس بمعزل عن هذه الأخيرة، كما سعى إلى إظهار كل ما هو مشترك بين جميع اللغات البشرية[3].

ومعنى كل هذا أن المدرسة النسقية ترى أن جميع الألسن لها خاصية مشتركة تتم في مبدأ البنية وتختلف فيما بينها في كيفية تطبيقها لتصبح نظرية "يلمسليف" من أبرز الأعمال في اللسانيات الحديثة، بفضل ما تميزت به من بحث وجرأة علمية، ودقة كبيرة في قراءة المفاهيم السوسيرية وشرحها.

1- فاطمة علوي، اللسانيات البنيوية من خلال كتاب :
linguistique structure Guitio (Lespscky) دراسة وترجمة، جامعة الجزائر، حوله طالب الإبراهيمي،2001، ص 80 ، ع ص 505.

2- محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي في الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر 2000، ص 65.

3- أحمد مومن، النشأة والتطور، ص 161.

النسق عند "رولان بارث": (Roland Barthes)

في الوقت الذي كان يشتغل فيه "سوسير" في علم اللغة، كان قد تطرق "بارث" إلى شيء حساس فيها، إذ اشتغل بقضية مهمة ألا وهي المكان الذي يوجد بين الكلمات وليس مجموع العلاقات التي تحكم العلامات اللغوية [1] حتى اعتبر بطل البنيوية.

يتبين مفهوم النسق عند "رولان بارث" من خلال أهم مؤلفاته (نسق الموضة) وظهر ذلك في قوله: "فالنسق مجموعة من الوحدات و الوظائف مثل النسق اللساني، ونسق الموضة." [2]

إن سوسير تطرق إلى اللسان على أنه نظام من العلامات، لكن بارث يعرفه على أنه نسق من القيم أي كل عنصر له قيمة بالنسبة إلى عنصر آخر، فمثلا خمسة دنانير تظهر قيمتها بمقارنتها بقطعة أخرى، وهكذا تتضح لنا أن العلامة اللغوية لها قيمة بمقارنتها بغيرها من العلامات في التركيب فالتفاضل في استخدامنا للعلامة اللغوية لها فضل في إيصال المعنى الدقيق، كأن تقول مثلا: (جاء زيد) و (هل زيد)، الفرق بين (جاء) و(هل) كالفرق بين خمسة دنانير وخمسون دينارا.

ذهب بارث إلى أن اللغة ليست سوى نسق واحد من الأنساق المتعددة للعلامة[3] فاللغة مثلها مثل هذه الأنساق التي تتمثل في الصور و الإيماءات للأصوات الموسيقية، و ترابط هذه الأنساق مع غيرها.

1- إديث كريزويل، عصر البنيوية، ص 252 -253.

2- الانطلاق من دراسة اللغة بعدها ظاهرة اجتماعية متكاملة وشاملة (نسق متكامل).

3- إديث كريزويل، عصر البنيوية، ص 253.

المقارنة بين النظم في التراث العربي والنسق في الدرس الغربي الحديث:

إن "الجرجاني" ومن كان قبله و من جاء بعده ورواد البنيوية من "دي سوسير" و"ليفي شتروس" و "يلمسلف" و "رولان بارث" انطلقوا من مبدأ واحد بل ارتكزت دراساتهم على أن اللغة نظام، ولقد كانت لهؤلاء نقاط تشابه واختلاف بين النظم في التراث العربي والنسق في الدرس الغربي الحديث.

أوجه التشابه:

1- الانطلاق من دراسة اللغة بعدها ظاهرة اجتماعية متكاملة وشاملة (نسق متكامل).

2- بيان العناصر الداخلية للغة والخارجية (سياق الحال).

3- العلامة اللغوية تكتسي قيمتها من خلال مجاورتها مع العلامات اللغوية الأخرى.

4- لا تقوم البنية دون نظام.

كما نجد من جانب آخر أوجه الاختلاف:

1- البنيوية اعتمدت المنهج الوصفي على عكس النحو العربي نجد أنه اعتمد على المعيارية.

2- نجد كذلك أن الدراسيين العرب والغرب لم تكن لهم نظرة واحدة للغة وبالتالي أدى هذا إلى اختلاف المنهج المستخدم في بحثهم، فمفهوم العرب للغة نجده أوسع وأشمل من مفهوم اللغة عند الغرب وهذا كله راجع إلى الظروف العلمية و الحضارية والفكرية التي تحيط بكل مفهوم، ولا يمكن أن تعالج اللغة بعيدا عن الظروف الخارجية.

3- الثقافة العربية لم تنطلق من التجزئة بل انطلقت من الكليات، في حين اللسانيات نظرة حيث فصل اللغة عن الفلسفة في أول ما فعل وكان ذلك ظرفيا بعودة البحوث اللغوية إلى حظيرة الفلسفة التحليلية بعد نحو أربعين سنة تقريبا.

خصائص اللسان البشري لدى سوسير:

بنى "دي سوسير" دراسته اللغوية وفق مراعاة ما يلي:

أولا: اللسان ليس هو اللغة: يميز "دي سوسير" بين ما هو ملكة بشرية (اللغة)، وما هو تواضع اجتماعي (اللسان)، وما هو نشاط فردي متعلق بالذكاء والإرادة (الكلام)، وهو يرى أن اللسان جزء هام أساسي من اللغة إذ لا وجود للغة بدون لسان، بينما توجد لغة بلا كلام (هي اللسان)، كذلك لا يوجد كلام بدون لسان، فاللسان ضروري لكي يفهم الكلام من طرف أطراف التواصل ويحدث آثاره فيهم، والكلام بدوره ضروري لكي يستقر اللسان ويستقيم.

ثانيا:اللسان مؤسسة اجتماعية: ليس اللسان ظاهرة طبيعية، وإنما هو مؤسسة اجتماعية ناتجة عن التواضع، لذلك يعتبره "سوسير" كنزا داخليا، مخزنا، قاموسا، بصمات موضوعية في الدماغ وليس في مقدور الفرد تغييره أو إبداعه نتيجة قانون المواضعة الذي يحكمه مما يجعله يقاوم كل التغيرات التي يحدثها الفرد فيه، والتي لا يعبر أبدا عن جوهره، مثله في ذلك مثل الأخطاء التي يقترفها العازفون في تجسيد لحن موسيقي، حيث إنها لا تقدح فيه، لأن حقيقة هذا اللحن وصورته تكون مستقلة عن الكيفية التي ينجز بها.

ثالثا: اللسان نظام قائم بذاته: اللسان نظام قائم بذاته و لا يخضع إلا لنظامه الخاص،حيث إذا تغير عنصر في النظام كان له أثر على النظام بأكمله، ويتأسس اللسان، من حيث هو نظام، على عدد من العناصر المرتبطة بينها على المستوى المركبي (المحور الأفقي)، والمستوى الاستبدالي (المحور العمودي)، ويوجد هذا النظام (الذي هو عبارة عن سلسلة من الاختلافات الصوتية المتزاوجة مع سلسلة من الاختلافات التصورية) بالقوة في مجموعة من الأفراد وليس في دماغ فرد واحد فقط، لأنه يكون دائما ناقصا لدى الفرد، ولا يوجد كاملا لدى الجماعة اللسانية.

رابعا: اللسان أداة تواصل: اللسان أداة تواصل ينبغي لجميع الأفراد المنتمين لجماعة لسانية معينة الخضوع له كانوا يودون التواصل، وهو يفرض على أطراف التواصل بطريقة سلبية، إذ لا دخل لهم في ابتكاره، ويقاوم كل التغيرات التي تحاول زعزعته عن طريق إفشال التواصل بسبب خرق اللسان.

أهم المبادئ التي أثرت في فكر"دي سوسير":

من أهم المذاهب التي أثرت في فكره نذكرما يلي:

أولا: الاتجاه الاجتماعي: كانت الأفكار التي جاء بها مؤسس المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع "إميل دوركايم" تتمثل أساسا في أهميته وقد كانت هذه النظرية الاجتماعية تؤكد على أن الأفراد بسبب تعايشهم يكونون الضمير الجمعي أو الشعور الجماعي، وهذه الصفات الجماعية هي سابقة لوجود الفرد وباقية بعده ومستقلة عنه، وفي نفس الوقت مارس ضغطا عليه هو ما دفع دوركايم للحديث عن فكرة الانتحار في كتابه الانتحار.

وقد أثر هذا المذهب على سوسير في صياغة خاصية أساسية من خصائص الدليل وهي الطابع الاعتباطي للغة.

ثانيا: الاتجاه الإنضمامي: يعتبر "جون لوك" و "دافيد هيوم" أهم رواد هذا المذهب إضافة إلى الباحث "ألكسندر بان" الذي طور هذا المذهب.

يرى أنصار هذا التيار أن الحياة النفسية تحكمها قوانين الانضمام لأن الأحاسيس هي بمثابة ذرات تشكل الحياة النفسية، وقد أثرت هذه الفكرة على "دي سوسير" حيث اعتبر أن اللغة هي أيضا كائن متكامل يتكون من مجموعة من الدلائل اللغوية يؤدي التغيير في موقع واحد منها إلى التغيير في شكل ومعنى النسق اللغوي ككل.

مفهوم الكل: هو أيضا اتجاه اجتماعي ينطلق من معنى أو مفهوم الكل حيث تفطن كل من "أوغست كونت" و "كارل ماركس" و "إميل دوركايم" لأهمية الكل وهو ذاك الشيء الزائد والمتجاور لكل من أجزائه، وقد أضاف "دي سوسير" إلى هذا المفهوم مبدأ أساسيا هو أن اللغة أيضا خاضع لمجموعة من القوانين الداخلية، فاللغة حسب "دي سوسير" هي نظام من الدلائل لا تعرف قيمة الدليل إلا من خلال التقابل الإيجابي و السلبي داخل نفس النظام وهذا يعني أن اللسانيات البنيوية عند "دي سوسير" هي لسانيات الداخلية وليست الخارجية، وهي من النقاط التي انتقد فيها "دي سوسير".

-ارتبطت كلمة نظم لزمن طويل بقرض الشعر حتى نسينا نظرية النظم، وحينما تحول الحداثيون العرب إلى استعارة المصطلح الغربي "نسق" أو"نظم" système أكملوا القطيعة مع المصطلح العربي في معناه الأوسع من مجرد نظم الشعر، فلا حاجة لنا لاستخدام المصطلح الغربي المستعار في وجود المصطلح العربي القديم الذي كاد بعضنا للأسف الشديد ينساه بالرغم من ان جذوره تضرب في أعماق تراثنا البلاغي والنقدي، منذ القرن الخامس هجري على الأقل ونعني به مصطلح "النظم" الذي يقدم نظرية أو مكونا في نظرية لغوية عربية لا تقل سماتها وضوحا عن سمات أي نظرية لغوية حديثة غير عربية.

تعريف النظم: التعريف الموجز المطروق الذي لا تكاد دراسته في التراث النقدي العربي تخلو منه، والذي سنتوقف عنده، هو تعريف عبد القاهر الجرجاني المعروف: "معروف أن النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض" وبرغم الإيجاز الشديد الذي يعبر به عبد القاهر هنا عن مفهومه للنظم، فإن التعريف في الواقع يقدم كل مكونات نظريته التي يفصلها مرات ومرات في كتابين: "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة"، وقبل مناقشة مفهوم النظم عند البلاغي والناقد العربي، دعونا نحدد معا، وفي تبسيط غير حداثي، مفهوم النسق أو النظام كما يقدمه ناقد أمريكي مخضرم هو "روبرت شولز"، وفي هذا لن يكون هدفنا بأي حال.

يجب أن نؤكد أن النسق اللغوي ليس وجودا محسوسا، فاللغة الإنجليزية ليست في العالم أكثر من وجود قوانين الحركة في العالم، ولكي تكون موضوعا للدراسة يجب بناء لغة ما، أو نموذج لها من شواهد الكلام الفردي. إن أهمية هذا المبدأ للدراسات البنيوية الأخرى بالغة لأن أي نظام إنساني، لكي يصبح علما، يجب أن ينتقل من الظواهر التي يسجلها إلى النسق الذي يحكمها، من الكلام إلى اللغة. وفي اللغة بالطبع لا معنى لأي تصوت بالنسبة إلى متحدث ينقصه النسق اللغوي الذي يحكم معناه. وما يعنيه هذا بالنسبة إلى الأدب بالغ الأهمية، إذ لا يمكن لمنطوق أدبي، لعمل أدبي، أن يكون له معنى إذا افتقدنا الإحساس بالنسق الأدبي الذي ينتمي إليه.

- المرايا المقعرة،نحو نظرية نقدية عربية، عبد العزيز حمودة، ص 218- 219.
- المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة، ص225 – 226.

وربما كان أهم مجال أتت فيه جهودهم هو نظرية النظم versification : إذ قالوا أنه ليس مجرد مجموعة من القوالبmoulds، أو القواعد الخارجية external rulds ، ولا حتى زخرفة خارجية embellishment / trapping تفرض على الحديث العادي أو يصب فيها superimposed on it بل أن النظم ضرب من الكلام الذي يتسم بتكامله الداخلي integrated speech ويختلف نوعيا qualitatively عن النثر ويتميز بالترتيب الهدمي hierarchy لعناصره وقواعده الداخلية الخاصة به أي أنه ..."كلام يخضع لنظام معين منت ألفه إلى يائه في نسيجه الصوتي"، وكانت فكرة الإيقاع من العوامل التي ساعدت في توضيح إحدى المشكلات الجوهرية في فن الشعر، ألا وهي مشكلة العلاقة بين الصوت والمعنى في فن الشعر". ولسنا بحاجة للإشارة هنا إلى أن النظم الذي يتحدث عنه عناني ليس النظم الذي نتحدث عنه.

عودة إلى نظرية لغوية لا تقل سماتها وضوحا عن سمات أي نظرية لغوية حديثة. والواقع أن مفهوم "النظم" يمثل العمود الفقري لنظرية لغوية عربية لا تقل تكاملا - من ناحية اتساقها على الأقل- عن أي نظرية لغوية حديثة بما في ذلك نظرية "دي سوسير" التي اتخذتها علوم اللغة نقطة انطلاق إلى تشعيبات وتفريعات لغوية ونقدية شبه لا نهاية، كان ذلك في الواقع هو مقدار حماس "محمد مندور" "لعبد القاهر الجرجاني" ونظريته في النظم ، وأن حماس مندور لم يكن في غير مكانه، ففي الميزان الجديد يكتب محمد مندور عن عبد القاهر الجرجاني: "إنه يستند إلى نظرية في اللغة أرى فيها ويرى معي كل من يمعن النظر أنها تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء، ونقطة البدء تجدها دلائل الإعجاز حيث يقرر المؤلف ما قرره علماء اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلامات système de signes وعلى هذا الأساس العام بنا عبد القاهر كل تفكيره اللغوي." ثم يكتب في النقد المنهجي عند العرب مقارنا صراحة بين انجاز عبد القاهر وانجاز سوسير:" ومذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، وهو مذهب السويسري الثبات "فيرديناند دي سوسير".

- المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة، ص220.

يرى البعض أن حماس "محمد مندور" مبالغ فيه، خاصة أن الرجل استخدم في تلك السطور القلائل والتي وردت في عملين من أعماله وليس عملا واحدا مفردات "نظرية في اللغة" تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث "ومذهب عبد القاهر أصح و أحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه". سوف يقول البعض، بالقطع، الشيء نفسه، ليس مبررا على الإطلاق، لحماسنا للتراث النقدي العربي، لأن الاعتماد على الحماس وحده يعني فرض رؤية وهمية لا وجود لها على النصوص النقدية التراثية، أو استنطاقها بما ليس فيها كأننا بعبارة أخرى، نؤسس شرعية الحاضر وليس شرعية التراث لكن النصوص التراثية العربية هي التي تؤسس شرعيتها في قراءتنا الحالية لها و هي التي تؤسس عصرتنا، كما يقول "شكري عياد" في ترجمته لمصطلح modernity ، وقد تحاشينا استخدام لفظ "حداثتها" عن عمد فهذه النصوص التراثية تقدم مفردات لغوية ونقدية لو جمعت في قراءة ذكية ومنصفة لأصبحت بين أيدينا نظريتان متكاملتان في اللغة و الأدب، ليس معنى ذلك أن جميع تلك المفردات اللغوية و النقدية يمكن أن يقبلها الجميع، فالمهم أن تتسق المكونات النظرية بعضها مع بعض، ويحدد "صلاح رزق" في أدبية النص (1989)، وبالحماس نفسه، المفردات التي نرى أنها أساس النظريتين الأدبية واللغوية، فهو يتحدث في الفصل الأول من كتابه عن المباحث التي تمثلت في جهود الجاحظ وابن قتيبة والرماني والخطابي والباقلاني والقاضي عبد الجبار والزمخشري والفخرالرازي "واستخلاص ثمارها خاصة فيما يتعلق بالدور الذي نهضت به هذه الدراسات على طريق تأصيل منهج نقدي حين عنيت بمكونات التشكيل اللغوي الفصيح والبنية الأدبية المتميزة بدءا بالحرف منفردا ومؤتلفا، واللفظ منفردة ومقترنة بأخرى أو بأخريات، ومواجهة الإشكاليات النظرية والمنطقية التي تثيرها قضية اللفظ والمعنى... وانتهاء بكل ما من شأنه بيان سر التفاوت بين نظم ونظم والاختلاف بين أسلوب وأسلوب مما لا يمكن حصره من ضروب التحسين الكلامي وتوظيف إمكانات الدلالات الحجازية وسبل إدراك المعاني واستشعار آثارها و إيحاءاتها".

- المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة ص221.

- ارتبط اسم "عبد القاهر" بجمع كل مفردات النسق الحداثي. هل نتوقف عند مقولة "شولز" أن النسق ليس وجودا ماديا محسوسا، لكنه قانون يحكم علاقات الوحدات داخل النص تماما مثل قوانين الحركة؟ أظن أن هذا مبدأ أبسط من أن نتوقف عنده. لكنه في حديثه عن النسق يؤكد مبدأين جوهريين لا يمكن المرور بهما مرور الكرام.

الأول: أن التصوت اللغوي لا معنى له من دون نسق بحكم علاقات وحداته،أي أن تحقق الدلالة أو المعنى لا يتم إلا بوجود نسق لغوي هو قانون الإرسال والتلقي الذي يتفق عليه المتلفظ والمستمع.

الثاني: هو كيفية تخليق النسق أو الوصول إليه ثم كيفية عمله، وفي هذا لا يختلف شولز عن جمهرة اللغويين في أسبقية الكلام على اللسان أو اللغة فالنسق يطور من نماذج الكلام الفردية، أو ما يسميه شولز "شواهد الكلام الفردي"، ولكي يتحول ذلك النسق إلى قانون عام له مصداقية العلم، يجب أن يتحول من الظواهر الفردية إلى اللغة، وبعد ذلك، يطبق ذلك القانون العام على حالات الكلام الفردية قبل أن تتحقق دلالة اللفظ.

- المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة ص227.

مفهوم النظام و تصنيفه في نسق العلوم: - يعد دي سوسير في تاريخ علم اللغة متخطيا آراء النحاة الجدد من جهة، وأهم محفز للبنوية المرتبطة بأسسه اللغوية من جهة أخرى. وبالرغم من أن بعض أفكاره تطورت قبله حيث يكمن فضله الجوهري في محاولة تصنيف اللغة في نسق العلوم المتصور آنذاك وتحديد علاقة علم اللغة بالعلوم الأخرى، وكذلك وضع العلاقات المتبادلة بين ظواهر لغوية وتمثل نظرته في الخاصية النظامية للغة تقدما مهما في مقابل الفكر اللغوي المتقدم عليه وبخاصة في مقابل وضعية النحاة الجدد، الذين كان الفكر النظامي غريبا عليهم، ومن ثمة مالوا إلى الدراسة الذرية لتفاصيل اللغة.

وفي مقابل ذلك، فصل دي سوسير اللغة بوصفها نظاما عن الكلام الفعلي، وأراد بهذا الفصل أن يفرق بين ما هو جوهري وما هو ثانوي، وبين ما هو اجتماعي وما هو فردي، وكان مهم بالنسبة له النظام اللغوي بوصفه نظاما لمعايير اجتماعية . وعد دي سوسير اعتمادا على علم الاجتماع الخاصية الاجتماعية للغة أساسية في مقابل الأفعال الكلامية الفردية التي كان النحاة الجدد قد رأوا فيها الموضوع الرئيسي لعلم اللغة. وعلى النقيض من النحاة الجدد لا ترتكز أوجه الاطراد في اللغة بوصفها لغة معينة للأعراف الاجتماعية ويجب أن تقوم على أنها في تاريخ العلم.

- تطور علم اللغة منذ 1907م، جرهارد هلبش، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص 94 – 95.

إطلاق النظام اللغوي:

وإذا كان دي سوسير قد ساعد في تخطي أوجه القصور والتحيز في مدرسة النحاة الجدد وتصدر تطورا جديدا فإنه قد وضع حجر الأساس لأوجه تحيز جديدة وتكمن لأوجه التحيز هذه في جعل الاستقلال النسبي للنظام مطلقا، ومن ثمة عزل النظام اللغوي الآخر وفي الواقع لم ينكر دي سوسير الخاصية الاجتماعية والنفسية للغة بل العكس من ذلك فقد أكده أيضا ولكنه استنتج من الفصل بين اللغة المعنية والكلام أن اللغة بوصفها نظاما للعلامات يمكن، بل يجب أن توصف مستقلة عن بحث علاقات اجتماعية ومجتمعية. انعكس هذا المطلب في الفصل بين علم اللغة الداخلي وعلم اللغة الخارجي، وقد تعرض هذا الفصل بين اللغة المعنية والكلام الذي له نتائج عدة لنقد صحيح مرارا في علم اللغة السوفيتي.

ولم يقدر دي سوسير هذه العلاقة الجدلية بين اللغة المعنية والكلام حيث جعل في طموحه إلى تأسيس مستقل لعلم اللغة، النظام اللغوي مطلقا وفهم النظام بأنه وحده يجيز نسقا خاصا به وبذلك استبعد في ذلك أيضا كل العوامل المهمة التي تتيح أن يصنف النظام اللغوي عبر المتكلم داخل مجتمع معين في إطار اجتماعي وثقافي وتاريخي ويبرر دي سوسير باللغة المعنية التي يفترض أنها مستقلة ومكتفية بذاتها التي تعد أساسا للكلام.

- علم اللغة منذ 1907م، جرهارد هلبش، ص 96.

- اللغة لدى دي سوسير لم تحرك بوصفها كلا معقدا إلى مركز النظر، فلم تستبعد كل العلاقات غير اللغوية الاجتماعية فقط من مجال علم اللغة بل إن علم اللغة يقتصر على شكل المضمون وشكل التعبير (أي يستبعد مادة المضمون ومادة التعبير لأن اللغة شكل وليست مادة) وبذلك يثبت التصور اللغوي لدى دي سوسير فتنتهك قوانين الجدلية من حيث التجريدات المثالية الضرورية قد جعلت مطلقة فكل تجريد مثالي لا يجاز إلى حين تغفل العلاقات الكلية التي أهملت في البحث من وقت إلى آخر لأن أوجه المثالية تستخدم آخر الأمر في الكشف عن علاقات أشمل في الواقع الموضوعي و مع ذلك فإن هذا لا يحدث لدى دي سوسير إذ يجعل جوانب أخرى مفردة للغة مطلقة وبهذه الطريقة تفصل هذه الشروط الاجتماعية والنفسية.

- علم اللغة منذ 1907م، جرهارد هلبش، ص 98.

الانتقادات التي وجهت ضد دي سوسير:

- إن مجال موضوع علم اللغة بالنسبة لدي سوسير هو فقط البنية الداخلية لنظام العلامات، هو مجال موضوع لا يشرك فيه علم اللغة أي علم آخر، مجال يمكن أن يبحثه علم اللغة بمناهج خاصة فقط ومن البديهي أنه لا يجد شك في كل أنها نظام ولها بنية تتصور وفق نظام خاص بها وأن موضوع علم اللغة يشمل أكثر منم النظام اللغوي إذ يشمل أيضا وظائف اللغة في السياق التواصلي والاجتماعي فإذا أطلقت الخاصية النظامية للغة وعزلت عن الجوانب الأخرى للغة تنشأ صورة وضعية جديدة ومضيقة للغة توهم بأنه جانبا للحقيقة هو الحقيقة كلها وتغفل أن اللغة ليست نظاما فقط بل هو نظام لتناقضات تامة وأن المجتمع يؤثر في النظام اللغوي عبر الوظائف الاجتماعية للغة.

ومع ذلك فلا يجوز في كل الاعتراضات النقدية ضد تصور دي سوسير انه يغفل منطلق من الوضع المعرفي آنذاك، فبناء على حاجات اجتماعية واتفاقا مع تطور العلم زادت آنذاك الحاجة إلى توسيع المعارف حول أنظمة لغات حية، وقد قدم تصور دي سوسير بلا شك لصياغة تلك المهام في الإطار الملائم وكان من الممكن أيضا بدرجة محدودة أن يقع التجريد في بحوث ذات أهداف محدودة من العلاقات الاجتماعية والتاريخية فقد تم التوصل إلى نجاحات لا خلاف عليها على أساس تصوره.

- علم اللغة منذ 1907م، جرهارد هلبش، ص 100-101 .

الاتساق:

1- **لغة:** يقول ابن منظور في معجمه الشهير: "استوسقت الإبل: اجتمعت، ووسق الإبل: طردها وجمعها... واتسقت الإبل واستوسقت: اجتمعت، وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انضم، فقد اتسق، والطريق يأتسق ويتسق أي ينضم... واتسق القمر: استوى، وفي التنزيل:"فلا أقسم بالشفق والليل وما سق والقمر إذا اتسق"سورة الانشقاق(16-17-18).

يقول ابن منظور، يقول الدراء: وما وسق أي وما جمع وضم. واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة... والوسق: ضم الشيء إلى الشيء... وقيل كلما جمع فقد وسق... والاتساق: الانتظام."[1]

وجاء في المعجم الوسيط " وسقت الدابة تسق وسقا ووسوقا": حملت ،و أغلقت على الماء رحمها، فهي واسق ... ووسقت النخلة: حملت، ووسق الشيء: ضمه وجمعه... ووسق الحب: جعله وسقا وسقا، واتسق الشيء، اجتمع وانضم، واتسق وانتظم، واتسق القمر:استوى وامتلأ (استوسق) الشيء: اجتمع وانضم، يقال استوسقت الإبل، و استوسق الأمر: انتظم"[2]

ونلاحظ أن جاء في المعجم الوسيط (و. س. ق) وبالتحديد الاتساق وأن معظم المعاني التي جاء بها فقد ذكرت في لسان العرب، وهي أيضا تحمل معنى الاجتماع والانتظام والانضمام وجعل الشيء مجتمعا. أما المعاجم الغربية فهي أيضا لم تبتعد عما جاء في المعاجم العربية القديمة والحديثة، وقد تتفق في بعض المعاني اللغوية للاتساق مع ما جاء في الدراسات النصية الحديثة.

فقد جاء في معجم (OXFORD) بأن الاتساق هو "إلصاق شيء بشيء آخر بالشكل الذي يشكلان وحدة مثل:اتساق العائلة الموحدة، وتثبيت الذرات بعضها ببعض لتعطي كلا واحدا..." [3]

1- ابن منظور، لسان العرب، ص 4284 – 4285.

2- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 1032.

3- OXFORD, (advanced learner's encyclopedia),(OXFORD : oxford university press, 1989), p173

اصطلاحا: يعد الاتساق أحد المصطلحات المحورية في الدراسات التي تندرج في مجال لسانيات النص. إذ يكاد يندر أن تجد باحثا في هذا المجال، لم يعطي لهذا المصطلح كثير اهتمام، بل تستطيع القول أن الاتساق أهم المفاهيم الرئيسية في لسانيات النص وهو يخص التماسك على المستوى البنائي الشكلي.

ويرى كل من "هاليدي" و"رقية حسن" " أن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي ، إذ يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص." [1]

أنواع السياقات:

لم ينهض بالدراسة اللغوية الصوتية والنحوية والمعجمية إلا اللغويين، فالنظر في المعنى موضوع شارك فيه علماء ومفكرون من مختلف الميادين: الفلاسفة، علماء الاجتماع، الآداب، السياسة، ولقد اهتم بالمعنى اهتماما بالغا أصحاب النظرية السياقية[2]، فدراسة المعنى تتطلب تحليلا للسياقات اللغوية والغير اللغوية والسياق يعتبر البيئة اللغوية أو الغير اللغوية التي تحيط بالخطاب وأهم السياقات نجد:

أ- **السياق اللغوي:** وهو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلام من مفردات وجمل ويمكن تمييز عناصر السياق التالية:

- **السياق الصوتي:** هو السياق الفونيمي الذي يشكل الكلمة.
- **التركيب الصرفي:** يتمثل في تركيب الصيغة الصرفية واختلافها.
- **التركيب النحوي[3]:** يمكن النظر في دلالته من حيث دلالات نحوية عامة ودلالة نحوية خاصة.
- **النظام المعجمي:** يتمثل في مفردات المعجم.
- **المصاحبة:** تتمثل فيما يصاحب الكلمة من كلمات تؤثر في معناها.
- **الأسلوب:** تتمثل في الأسلوب البلاغي.

1- Hallidy M.A.K and R. Hassen in English , longman, London, 1976,p 04

نقلا: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 15.

2- محمد فريد وجدي، علم الدلالة، ص 156.

3- تمام حسان، العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1994، ص 125.

ب- **سياق المرفق أو الحال:** السياق الحالي يكمل في الكلام من نقص في البيان والمعنى، كما أن الكلام والسياق عنصران متلازمان وكل واحد منهما يكمل الآخر، لا انفصال بينهما، وعناصر هذا السياق تكمن في:

1- الكلام الفعلي الذي دار خلال الموقف.

2- طبيعة المحدثين (نقصد به المحدثون الذين دار بينهم الحديث).

3- الأفعال المصاحبة للكلام: الأفعال والمظاهر.

4- زمن الكلام يجب تحديده كالمسرحيات والقصص.

جـ -**السياق الثقافي الاجتماعي:** وهو المجال الاجتماعي أو الثقافي الذي ينتمي إليه الكلام فالمعاني تختلف باختلاف المجال والسياق الثقافي.

السياق عند بعض علماء الغرب:

أ- السياق عند "أولمان": استعملت حديثا في معاني مختلفة منها النظم اللفظي للكلمة وموقعها في ذلك النظم، لذا فالسياق ينبغي إضافة إلى اشتماله الجمل الحقيقية واللاحقة وكل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات: كما أن للعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام دورا بالغا في هذا الشأن[1] وكلاهما ينطويان تحت سقف الثقافة.[2]

إن أصغر عنصر لغوي هو الصوت المفرد لكنه يبلغ في الكبر حد الجملة وما وراءها (النص)، وبالتالي فإذا كان العنصر اللغوي موضع التحليل هو الوحدة الصوتية، فحد السياق هو الكلمة أما إذا كان العنصر اللغوي المطلوب تحليله هو الكلمة فيتوسع حدود السياق فيتصل بما هو أكثر منها وهو الجملة، ويوضح "أولمان"[3] هذا بعبارة أخرى يمكن القول إن العنصر المتخذ موضوعا للتحليل هو الذي يحدد حجم السياق وتنوعه، أما الأسلوبيين فهم أكثر دقة في هذا الموضوع حيث يقسمون السياق إلى نوعين:

- السياق الصغير يقصد بها ما قبل وما بعد اللفظة.
- السياق الكبير ونقصد به الجملة أو الفقرة أو الخطاب.

1- ردة بن ردة بن ضيف الله، دلالة السياق، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة، 2002، ص 52.

2- ردة بن ردة، دلالة السياق، ص 53.

3- ردة بن ردة، دلالة السياق، ص 54.

ب- السياق عند "دي سوسير":

النظام عند "سوسير" هو نظام من الدلائل تعبر عن أفكار الإنسان.[1] إن العلاقات اللغوية قد أخذت حيزا كبيرا في مقولات "سوسير" بدءا بتفريقه بين ثلاث مصطلحات هي اللغة واللسان والكلام وعد المصطلح الأول أوسع معنى بوصف اللغة ظاهرة إنسانية عامة تختلف عن اللسان الذي يعد خاصا مقارنة مع اللغة إذ يمكن تحديده بدقة استنادا إلى القول أن اللسان لغة محددة بما فيها نظام مفرداتها وعناصرها المرتبطة كالنحو والصرف والمعجم، أما الكلام يعني ما يترجمه الفرد من قواعد اللسان.

إن الكلمة عند "دي سوسير" إذا ما وقعت في سياق ما لا تكتسي قيمة إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا.[2] لأن الكلمة لا تؤدي معناها منعزلة عن السياق الذي وردت فيه إنما تكون لها دلالة حين نستعملها في اللغة أو بالأحرى في الطريقة التي تستعمل بها أو الوظيفة التي تؤديها.

1- ردة بن ردة، دلالة السياق، ص 167.

2- ردة بن ردة، دلالة السياق، ص 167.

جـ -السياق عند "فيرث":

تأثر فيرث "بمالينوفسكي" للظاهرة اللغوية من خلال مصطلح سياق الحال الذي يعد الركيزة الأساسية للنظرية السياقية: لكن فيرث كانت نظرته مختلفة بالنسبة للسياق، ولقد أخذ فيرث عن "مالينوفسكي" فكرة سياق الحال أعطاها بعدا أعمق فإن كان سياق الحال أو الموقف عند "مالينوفسكي" تألف من الملامح الواقعية الفعلية التي يرتبط بالبيئة الثقافية والطبيعة التي حدث فيها الموقف[1]، فإن عند فيرث أشمل أي أنه تحصيل المعنى الإجمالي للكلام أو للنص من خلال النظر إلى الظروف والملابسات الاجتماعية التي يتم فيها الحدث.[2]

لقد حاول فيرث إثبات صحة مقولة "المعنى وظيفة السياق"، لأن اللغة تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها.

1- ردة بن ردة، دلالة السياق، ص 181.

2- زينة مدواس، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء النظرية السياقية الحديثة، رسالة الماجستير 2001 / 2002، جامعة تيزي وزو، ص 173.

السياق عند بعض العلماء العرب:

أ- **سبويه:** يعتبر سبويه من أوائل النحاة الذين اعتمدوا على السياق اللغوي في دراسة التراكيب النحوية كما أنه من الرواد الذين اهتموا بعناصر سياق الموقف المتمثلة في المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما إلى غير ذلك مما يرتبط بالمقام. لقد أولى سبويه كل من السياق اللغوي و"سياق الحال" اهتماما كبيرا وسنعمد في ما يلي إلى بيان بعض عناصر السياق اللغوي عنده، ويتضح ذلك من خلال استعانته بالسياق اللغوي بكثرة في بيان أحد العناصر المحذوفة في التركيب. ونجد الاستغناء عن تكرار"كل" في قول الشاعر "أكل امرئ تحسبن أمرا ونارا توقد بالليل نارا" (المتقارب). فقد اعتمد كل عنصر لغوي ذكر في جملة سابقة للدلالة على العنصر المحذوف في الجملة الثانية وجعل ذكر العنصر الأول سياقي وعدم التباس المعنى على المخاطب.

ونجد قوله عز وجل: " بل ملة إبراهيم حنيفا" (سورة البقرة، 135) أي بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا كأن قيل "اتبعوا" حين قيل لهم " كونوا هودا أو نصارى".

نجد من السياق اللغوي ترتيب العناصر اللغوية داخل التركيب وما يترتب من ذلك من دلالات ولقد اعتنى به عناية كبيرة والتقديم عنده على ضربين: ضرب يكون المقدم فيه على نية التأخير، وتقديم الخبر على المبتدأ في النحو: منطلق زيد، وضرب آخر لا يكون على نية التأخير وإنما ينقل المقدم من حكم إلى حكم.

ب- **الفراء (ت 207 هـ):** الذي عد القرآن نصا واحدا ونظر إلى القراءة القرآنية على أنها جزء من سياق النص و الفراء اهتم بالسياق النصي الأصغر حيث أننا نجد في قوله تعالى: "يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف" في المسألة يسألون لما كان الجاهل يحسبهم أغنياء ، لأن السؤال في الظاهر يدل على الفقر،ويؤيده أيضا قوله تعالى:"تعرفهم بسماتهم" ولو سألوا لعرفوا بالمسألة.[1] و يواصل الفراء توجيه العادات التعبيرية البلاغية اللغوية في الظواهر المتعلقة بالنظم فمن خلال ذلك قوله تعالى: "واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل و امرأتان ممن ترضون من الشهداء، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى".(البقرة 282) ومحل التوجيه قوله تعالى: "أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى" ففيه إجماع واختلاف في آن واحد.

أما الإجماع فهو الاتفاق الحاصل على كون هذا التركيب بيان لحكمة استشهاد امرأتين مكان شهادة رجل وأما الاختلاف فلأن ظاهر (أن تضل) يجعل الاستشهاد لأجل الضلالة لا للذكر كما هو متفق عليه بين المفسرين. إننا نجد الفراء يتضح تأويله لقراءة الفتح في أن " لو ابتدأنا بتأويله لقراءة الكسر فيها ".[2]

1- مجمع البيان 2، في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن حسن ت 548 هـ، (د ط)، مج 1،5 تحقيق وتعليا العربي هاشم الرسولي المجلاني، دار إحياء التراث العرب بيروت، 137 هـ، ص 79.

2- الفراء، أبو زكريا بن زيادة، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاس ومحمد علي النجار ج 3 تحقيق عبد الفتاح إسماعيل، عالم الكتب، بيروت.

جـ -الجاحظ: لقد شغل مفهوم السياق حيزا كبيرا في الأعمال البلاغية، إذ يعد المحرز الرئيسي الذي وجه الدراسات السياقية.

يتجلى مفهوم السياق عند الجاحظ في حديثه عن محدودية الألفاظ وكثرة المعاني حيث يقول في صدد ذلك: " أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير وممتدة إلى غير نهاية وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة[1]، وإذا كانت المعاني تفضل الأسماء، والحاجات تجوز مقادير السمات، وتفوت ذرع العلامات[2] فلابد من حصر الدوال اللفظية وغير اللفظية عن تلك المعاني وغير المتناهية، والفائتة على ذرع العلامات على خد تعبير الجاحظ الذي ذهب إلى أن أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي نصبه والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف. [3]

1- الجاحظ،البيان والتبيين، ج ،1 ص 76.

2- أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، درويش جودي، بيروت، لبنان، 1999، ص 20.

3- أبو عثمان الجاحظ، الحيوان ، ص 46.

الخاتمة:

من صفوة القول، فإن النسق عند دي سوسير يشكل جزءا مهما من أعماله حيث يعتبره بمثابة العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقاتها فيما بينها عن بعضها البعض، فإن أي تغير يطرأ على مكونات النسق يؤدي إلى تغير مكوناته الأخرى من جانب اللغة، حيث ينقسم النسق إلى أنواع عدة ذو أهمية كبيرة في الجانب اللغوي لا يمكن إنكارها أو حذفها.

تدور دراسات اللسانيات في القرن 20 حول آراء العالم اللغوي فيرديناند دي سوسير وهذا من خلال كتابه"محاضرات عامة حول اللسانيات" وتعتبر كمجموعة من النظريات العبقرية آنذاك، تعبر عن فلسفة خاصة تخص كل من النطق والكلام. حيث يرى دي سوسير في هذا الشأن أن اللغة تعتبر كنز ناتج عن تجربة النطق موضوع في كل إنسان من نفس المجتمع، وهي جهاز قواعد لغوية موجودة في مخ كل إنسان أو في أمخاخ مجموعة من البشر، لأن اللغة توجد فقط عند الأغلبية". وهو تمييز واضح بين اللغة والكلام. لذالك يرى العلماء اللغويين المحدثين أن العالم فيرديناند دي سوسير هو أول من تفطن إلى أن اللغة نظام له قواعده الخاصة وأنه نسق مستقل يتخذه أفراد اللسان الواحد وسيلة للتواصل، مع العلم أن هذا النسق يقوم على أساس اتفاقي أو اصطلاحي وأنه يمثل كيانا مستقلا من العلاقات الداخلية يتوقف بعضها على بعض.

فالنظرية النسقية هي نظرية جديدة ولا يخفى علينا أنها لم تنل الضبط الوافر والدراسة الغزيرة وهذا هو واقع أي نظرية جديدة تظهر في البداية.

حيث تجد أن النسق لعب دورا كبيرا في أعمال بعض العلماء لطبيعة موضوعه العلمية والمعرفية في توضيح الخلفيات النظرية للنسق في التراث العربي واكتشاف كينونة التكوين النسقي في اللسانيات العامة وإظهار أهمية اللغة التي نتعامل بها وكون اللغة أولى الأمور التي ينبغي على الإنسان تعلمها للمضي قدما.

وفي الأخير نرجو أننا قد وفقنا في إنجاز هذا البحث، ونرجو أيضا أن تقدم بحوثا أخرى في هذا المنوال تبحث أكثر في موضوع النسق ودوره في اللسانيات العامة، وتدرس الجوانب المتعددة له بصفة أخرى ليستفاد منها الجميع.

الملاحـــــق

حياة فيرديناند دي سوسير: ولد دي سوسير في جونيف بسويسرا في 17 نوفمبر 1857، وقد انحدر من عائلة فرنسية بروتستانتية، هاجرت من لوزان خلال الحروب الفرنسية قي أواخر القرن الـ 16 م إلى سويسرا. وشاءت الأقدار أن يولد هذا الرجل بعد عام واحد من مولد فرويد، وقبل عام واحد من مولد إميل دوركايم، فكان لهذا الثلاثي شأن عظيم في توجيه مسار العلوم الإنسانية، وإحداث ثورة على المفاهيم والمناهج الكلاسيكية آنذاك، وبعد تلقيه التعليم الأولي في جنيف انتقل إلى برلين لمزاولة دراسته ومكث هناك خلال الفترة الممتدة 1876 و 1878 يدرس اللسانيات. وعلى الرغم من أنه تتلمذ على يد بعض النحاة الجدد إلا أنه كان يخالفهم في تصورهم العام ويرفض نظرتهم الضيقة للسانيات.

و ما بين عامي 1886 و1891 قام بزيارة باريس للإقامة فيها وتولى خلال هذه الفترة منصب مدير الدراسات في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وفي نفس الوقت كان يحاضر لمجموع الطلبة في اللسانيات التاريخية و المقارنة.

عام 1891 رحل إلى مسقط رأسه و استقر هناك في جامعة جونيف و قد تعرض في أواخر حياته إلى جملة من الانتقادات جعلته ينعزل ويكف عن البحث في مجال السيميولوجيا.

نشر "دي سوسير" مِؤلفه الأول الذي جلب له الشهرة عنوان الدراسة حول النظام البدائي للصوامت.

أما كتابه الشهير فقد صدر بعد 3 سنوات من وفاته بعنوان "محاضرات في الألسنة العامة"، حيث قام طلبته بجمع محاضراته التي كان يلقيها في جامعة جونيف، ثم قاموا بتصنيفها وتبويبها ونشرها في الشكل النهائي الذي هي عليه الآن.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **المصادر والمراجع العربية:**

1- أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، درويش جودي، ، بيروت، لبنان 1999.

2- أبو علي الفضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم، ت 548 هـ، (دط)، مج 1،5 تحقيق وتعليا العربي هاشم الرسولي المجلاني، دار إحياء التراث العرب بيروت، 137.

3- أبو زكريا بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاس ومحمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

4- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2002.

5- أحمد يوسف، القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة.

6- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط.

7- ابن منظور، لسان العرب.

8- ايديث كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة جابرعصفور، دار سعاد السيات.

9- تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها.

10- الجاحظ، البيان والتبيين.

11- جرهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، ترجمة سعيد حسن بحيري.

12- جون شتروك، البنيوية وما بعدها، ترجمة محمد عصفور،عالم المعرفة، الكويت 1996.

13- حسن خميس الملخ، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، طبعة 2007.

14- خليل حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1990 .

15- خليل المجر، المعجم العربي الحديث، إعادة النظر محمد الشايب، مكتبة لاروس، باريس 1982.
16- الدكتور، سعيد حسن بحيري، أستاذ علوم اللغة، كلية الألسن، جامعة عين شمس.
17- دي سوسير، دروس في الألسنة العامة، ترجمة القرمادي.
18- دي سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة ، نقلا عن أحمد مومن.
19- ردة بن ردة بن ضيف الله، دلالة السياق، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة 2002.
20- زكرياء إبراهيم، مشكلة البنية، نقلا عن حلمي خليل.
21- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجتمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2007.
22- عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1997.
23- عز الدين إسماعيل، كتاب "كللر"، نقلا عن عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، نحو النظرية النقدية العربية.
24- عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر العربي المعاصر، منشورات خليفة بوجادي، محاضرات في المدرسة النسقية السنة الأولى ماستر 2010.
25- علي بن داهية وآخرون، القاموس الجديد لطلاب معجم عربي ألفبائي، طبعة 7 تقييم محمود المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991.
26- فاطمة علوي، اللسانيات البنيوية، دراسة و ترجمة جامعة الجزائر، خولة طالب الإبراهيمي 2001.
27- فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة، ترجمة يوسف الغربي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1986.
28- فرديناند دي سوسير،محاضرات في اللسانيات العامة، نقلا عن الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية استيميولوجيا، دار القصبة للنشر، الجزائر 2001.

29- كاثريك فوك وبيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية.
30- محاضرات بوجادي خليفة، محاضرات في المدرسة النسقية، السنة الأولى ماستر 2010.
31- محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي في الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر 2000.
32- محمد فريد وجدي، علم الدلالة.
33- مجدي الجزيري، البنيوية والتنوع البشري وكلود ليفي شتروس.
34- ميشال زكرياء، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1983.
35- يوسف إسماعيل، سياق الإنتاج النصي والتلقي، الفصل الثالث.

المصادر غير العربية:

1- De Soussure- cours de linguistique générale, 1916, wode bokeins translation 1974.
2- Hallidy M.A.K and R. Hassen in English. Langman, London, 1976.
3- OXFORD, (advanced learner's encyclopedia),
(OXFORD : oxford university press, 1989).